دَوْرُ الْجَامِعَةِ الْعَرَبِيَّةِ فِي حِمَايَةِ الْهَوِيَّةِ الْعَرَبِيَّةِ فِي مُوَاجَهَةِ الْعَوْلَمَةِ

أ.د. سُهَيْلٌ حُسَيْنٌ الْفَتْلَاوِيُّ

أُسْتَاذُ الْقَانُونِ الدُّوَلِيِّ الْعَامِّ فِي جَامِعَةِ جَرَشَ

رَئِيسُ الْجَمْعِيَّةِ الْعِلْمِيَّةِ لِلبُحُوثِ وَالدِّرَاسَاتِ الاسْتِرَاتِيجِيَّةِ

وَعضُو الجَمْعِيَّةِ الأَمْرِيكِيَّةِ لِلْقَانُونِ الدُّوَلِيِّ (ASIL)

وَعُضُو الْجَمْعِيَّةِ الْمِصْرِيَّةِ لِلْقَانُونِ الدَّوْلَيِّ.

مُلخص البحث

دَوْرُ الْجَامِعَةِ العَرَبِيَّةِ فِي حِمَايَةِ الْهَوِيَّةِ العَرَبِيَّةِ فِي مُواجَهَةِ الْعَوْلَمَةِ

تُعَانِي الأُمَّةُ العَرَبِيَّةُ مِنْ أَزِمَاتٍ مُتَصاعدةٍ وَتَحَدِّيَاتٍ دَاخِلِيَّةٍ وَخَارِجِيَّةٍ كَبِيرَةٍ، امْتَدَّت آثَارُهَا فَشَمِلَت الْجَوَانِبَ السِّيَاسِيَّةَ وَالاجْتِمَاعِيَّةَ وَالاقْتِصَادِيَّةَ وَالثَقَافِيَّةَ. وَظَهَرَتْ هَذِهِ الْأَزْمَاتُ عَلَى هَيْئَةِ صِرَاعٍ حَادٍّ مَعَ الزَّمَنِ، تَسْعَى الأُمَّةُ لِرَدمِ فَجْوَةِ التَّخَلُّفِ والتَّفَاوُتِ الْحَضَارِيِّ الَّتِي أَبْعَدَت المُجْتَمَعَ العَرَبِيَّ عَنِ رَكْبِ الْعَصْرِ، وَتَعْمَل مِنْ أَجْلِ إِذْكَاءِ عَوَامِلِ نُهُوضِهَا مِنْ جَدِيدٍ. وَتَوَاجِهُ الْهَوِيَّةُ العَرَبِيَّةُ العَدِيدُ مِنَ التَّحَدِّيَاتِ الْمَصِيرِيَّةِ ، بَعْضُهَا قَدِيمَةٌ كَالشُّعُوبِيَّةُ، وبَعْضِهَا حَدِيثَةٌ كَالِاسْتِعْمَارِ وَالصَهْيُونِيَّةِ وَالتَّجْزِئَةِ وَالتَّخَلُّفِ، وبَعْضُهَا رَاهِنَةٌ كَالْعَوْلَمَةِ والْأَمْرَكَةِ. وَعَلَى الرَّغْمِ مِنْ اخْتِلَافِ مَصَادِرِ هَذِهِ التَّحَدِّيَاتِ، إلا أَنَّ جَمِيعهَا يَصُبُّ فِي مَجْرَى وَاحِدٍ، هُوَ القَضَاءُ عَلَى الْهَوِيَّةِ الْقَوْمِيَّةِ العَرَبِيَّةِ، ومُحَاوَلَةُ فَكِّ الرَّوَابِطِ بَيْنَ الْعُرُوبَةِ وَالإِسْلَامِ، وَضَرْبِ كُلٍّ مِنْهُمَا بِالآخَرِ.

وَتَقَعُ مَسْؤُولِيَّةُ حِمَايَةُ الهَوِيَّةَ العَرَبِيَّةِ عَلَى المُرَبِينَ مِنْ أَسَاتَذَةِ الْجَامِعَاتِ العَرَبِيَّةِ فِي مُقَاوَمَةِ التَّحَدِّيَاتِ الَّتِي تَوَاجِهُ الْهَوِيَّةَ العَرَبِيَّةَ وَفِي مُقَدَمَتِهَا الْعَوْلَمَةِ وَإِنْ يَكُونَ ذَلِكَ فِي تَعَاملهمْ مَعَ العِلْمِ وَالمَعرِفَةِ مِنْ خِلَالِ الرَابِطَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ البَعِيدةِ عَنِ مَا تَفرضُهُ الْعَوْلَمَةِ مِنَ التَّعَامُلِ الْمَادِّيِّ الَّتِي تُحَوِلُ الطَالِبَ إِلَى زُبُونٍ. فَلابُد مِنْ أَنَّ يَنْطَلِقَ التَّعَامُلُ مِنْ أُسُسٍ إِنْسَانِيَّةٍ وَقَوْمِيَّةٍ، وَالشُّعُورُ بالمسؤولية بِأَنَنَا نَعِيشُ فِي عَالمٍ جَدِيدٍ يَعْمَلُ عَلَى إلغَاءِ خصُوصِيتِنَا العَرَبِيَّة بِحجَجٍ وَاهِيَةٍ وَغَيْرِ مَنطِقِيَّةٍ.

ولا تَقْتَصِرُ مَسْؤُولِيَّةُ الْمُؤَسَّسات الرَسْمِيَّة فِي حِمَايَةِ الْهَوِيَّة العَرَبِيَّة بَلْ يَتَطَلَّب مِنْ مُؤَسَّسات المجتمع الْمَدَنِيّ وَالْإِعْلَام والكتاب وَمِنْ الجَمِيع العَمَلَ عَلَى إذكَاءِ مَعَالِمَ الْهَوِيَّة العَرَبِيَّة وَمُواجَهَةُ الْعَوَلِمةَ، والعَمَل عَلَى تَقْوِيَة أَوَاصِرِ الْأُسْرَةِ وَغَرَسَ مَعَالِمَ الأَصَالَةِ العَرَبِيَّةِ الْإِنْسَانِيَّةِ الْأَصِيلَة، وَإِنْ التَّمَسُّكَ بِالْهَوِيَّةِ العَرَبِيَّةِ، تُعَدُّ دَعْوَةً غَيْرَ عُنْصُرِيَّةٍ، وَغَيْرِ مُتَعَالِيَةٍ، بَلْ إِنَّها دَعُوةٌ تَعْمَل عَلَى تَأَصِيلِ التَّضَامُنِ الجَمَاعِيِّ بَيْنَ أَبنَاءِ الْمُجتَمَعِ الوَاحِدِ. فَهِيَ تَجمَعُ وَلاَ تُفَرِّقُ، تُقَوِّي وَلاَ تُضعِفُ، إِنسَانِيَّة وَلَيْسَتْ عُنْصُرِيَه .

Abstract

Arab League role in the protection of Arab identity in the face of globalization

By Professor Suheil H. Al-Ftlawi

Suffering of the Arab nation from the crisis and mounting internal and external challenges large, extended their influence aspects of political, social, economic and cultural rights. These crises have emerged in the form of a sharp conflict with the time, the nation seeks to bridge of cultural backwardness and inequality that kept the Arab community behind the times, and works to raise advancement of new factors.

Arab identity and face many challenges to crucial some old, some modern colonialism and Zionism, retail and underdevelopment, and some current such as globalization and Americanization. In spite of the different sources of these challenges, but all is in one course, is to eliminate the Arab national identity, and to try to break the links between Arabism and Islam, and hit each other.

The responsibility to protect Arab identity from the educators, university professors in the Arab resistance to the challenges facing the Arab identity in the forefront of globalization and that it is in dealing with science and knowledge through the Association of humanity away from the deal imposed by the globalization of the material that transforms the student to the customer. Must take off from the deal of the foundations of humanity and nationalism, and sense of responsibility that we live in a world of new works to eliminate our privacy Arab flimsy and illogical.

Not only the responsibility of the official institutions in the protection of Arab identity, but requires the institutions of civil society, media, writers and everyone working to raise landmarks Arab identity and the face of globalization, and work to strengthen the bonds of family and planting features of originality Arab humanitarian authentic, and adherence to the Arab identity, is to invite non-racial , and is disrespectful, but works as a call to consolidate the collective solidarity among the people of the same society. It brings together and not divide, weaken and strengthen, a humanitarian, not a racist.

المقدمة

تشهد الأمة العربية في الوقت الحاضر، العديد من التحولات المتعددة الأهداف، والمهيمنة على الواقع العربي، وتعاني من أزمات متصاعدة وتحديات داخلية وخارجية كبيرة، امتدت آثارها فشملت الجوانب السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية. وظهرت هذه الأزمات على هيئة صراع حاد مع الزمن، تسعى الأمة لردم فجوة التخلف والتفاوت الحضاري التي أبعدت المجتمع العربي عن ركب العصر، وتعمل من أجل إذكاء عوامل نهوضها من جديد. وتواجه الهوية العربية العديد من التحديات المصيرية ، بعضها قديمة كالشعوبية، وبعضها حديثة كالاستعمار والصهيونية والتجزئة والتخلف، وبعضها راهنة كالعولمة والأمركة. وعلى الرغم من اختلاف مصادر هذه التحديات، إلا أن جميعها يصب في مجرى واحد، هو القضاء على الهوية القومية العربية، ومحاولة فك الروابط بين العروبة والإسلام، وضرب كل منهما بالآخر.

وعلى الرغم من الانتكاسة التي لحقت بالعولمة بسبب الأزمة المالية العالمية التي لحقت بها منذ نهاية عام ٢٠٠٩ حتى الوقت الحاضر، إلا إنها جمعت كل أوصالها لمواجهة الهوية العربية. وانطلاقاً من ذلك فقد وجدنا من الضرورة أن نحدد مدى تأثير العولمة على الهوية العربية ووسائل المؤسسات الرسمية والخاصة في مواجهة تحديات العولمة للهوية العربية، وهو ما تتضمنه المباحث الآتية:

المبحث الأول- واقع القومية في عصر العولمة ؛

المبحث الثاني - تحدي العولمة للهوية العربية؛

المبحث الثالث- دور الجامعة العربية في حماية الهوية العربية.

المَبحَثُ الأَوَّلُ

وَاقِعُ القَوْمِيَّةِ فِي عَصْرِ العَوْلَمَةِ

مِنْ أَهَمِّ التَّحَدِّيَاتِ الرَّاهِنَةِ الَّتِي تُوَاجِهُ الهُوِيَّةَ العَرَبِيَّةَ هِيَ العَوْلَمَةُ. وَالبَحْثُ فِي تَحَدِّي العَوْلَمَةِ يَتَطَلَّبُ بَيَانَ مَفْهُومِ العَوْلَمَةِ وَمَدَى تَحَدِّيهَا لِلهُوِيَّةِ القَوْمِيَّةِ بِصُورَةٍ عَامَّةٍ وَلِلهُوِيَّةِ العَرَبِيَّةِ بِصُورَةٍ خَاصَّةٍ:

تُعَدُّ العَوْلَمَةُ *Globalization* مِنْ أَبْرَزِ التَّحَوُّلاتِ الَّتِي شَهِدَهَا العَالَمُ فِي الوَقْتِ الحَاضِرِ. تِلْكَ التَّحَوُّلاتُ الهَائِلَةُ جَعَلَتْ، فِي الوَقْتِ نَفْسِهِ، الرَّأْيَ العَامَّ الدُّوَلِيَّ وَالحُكُومَاتَ، يُدْرِكَانِ عَلَى أَنَّ بَعْضَ القَضَايَا الكُبْرَى الَّتِي تُؤَثِّرُ فِي مُسْتَقْبَلِ الإِنْسَانِيَّةِ، هِيَ أَسَاسًا قَضَايَا تَتَخَطَّى حُدُودَ الدُّوَلِ وَسِيَادَتِهَا. فَقَدْ أَصْبَحَ مِنَ الوَاضِحِ اليَوْمَ أَنَّ مَسَائِلَ، مِثْلُ حِمَايَةِ البِيئَةِ، أَوِ التَّحَكُّمُ فِي النُّمُوِّ السُّكَّانِي، أَوْ مُكَافَحَةُ الجُوعِ فِي العَالَمِ، بَاتَتْ تُطْرَحُ عَلَى صَعِيدٍ كَوْكَبِنَا بِأَسْرِهِ وَلَمْ يُعَدْ فِي الإِمْكَانِ تَنَاوُلُهَا إِلا جُزْئِيًّا عَلَى مُسْتَوَى الدَّوْلَةِ القَوْمِيَّةِ. وَفِي هَذِهِ الظُّرُوفِ، فَإِنَّ العَيْشَ ضِمْنَ حُدُودِ الوَاقِعِ المَحَلِّيِّ فِي هَذَا الكَوْكَبِ الَّذِي صَبَغَتْهُ العَوْلَمَةُ قَدْ يُصْبِحُ، مَا لَمْ نَتَوَخَّ الحَذَرَ، عَلامَةً عَلَى التَّدَهْوُرِ، وَالحِرْمَانِ وَالاِسْتِبْعَادِ[1].

---

[1] الدُّكْتُورُ مَحمُود خَالد المُسَافر، العَوْلَمَة الاِقْتِصَادِيَّة، هَيمَنة الشمَال والتَّدَاعيات عَلَى الجنُوب، بيت الْحِكْمَة، بَغْدَاد ٢٠٠٢ ص ١٥٠.

واخْتَلَف الْكُتَّابُ فِي تَّعْرِيفِ وَتَسمِيةِ الْعَوْلَمَة، يراجع: الدُّكْتُورُ اسمَاعِيل صَبري مقلد، الكُوكَبه الرَّأْسِمَالِيَّة فِي مَرْحَلَةِ مَا بَعْدَ الرَّأْسِمَالِيَّة، مَجَلَّة الطَّرِيق، الْعَدَدُ الرَّابِعُ ، تَمُوزآب، ١٩٩٧، ص ٤٧. وَيرَى آخرُون إِلى الْعَوْلَمَة مِنْ جِهَةِ سِعَتهَا وَشِمُولِيتهَا، وَيقُولُونَ أَنَّ اسْتِخْدَام لفظة الْعَوْلَمَة أَكْثَرَ مِنْ الكُوكَبَةِ أو الكُونِيةِ، أُنْظر : عَبْد الجَلِيل كَاظِم الوَالِي، جَدَلِيةُ الْعَوْلَمَة بَيْنَ الِاخْتِيَار والرَفْض، مَجَلَّة الْمُسْتَقْبَل العَرَبِيّ، الْعَدَد (٢٧٥) السَّنَّة (٢٤) كَانُونَ ثَانِي- بَيْرُوت ٢٠٠٢ ص ٦٠.

وَيَعتَقِدُ الْبَعْضُ أَنَّ الْعَوْلَمَة تَرتَبط بالقريةِ وَيصبحُ مَعْنَى الْمُصْطَلَح الْإِنْجِلِيزِيّ (Global Village) أَيْ أَنَّ العَالَمَ عِبَارَةٌ عَنِ قَريةٍ كُونِيَّة وَاحِدَة. أُنظر: حسْن حَنفِي، الثَّقَافَة العَرَبِيَّة بين

وَيَرَى الْبَعْضُ أَنَّ الْعَوْلَمَةَ تَنظرُ لِلْعَالِمِ بِوَصْفِهِ قَرْيَةً، وَيُصْبِحُ مَعْنَى الْمُصْطَلَحِ الْإِنْجِلِيزِيُّ (Global Village) أَيْ أَنَّ الْعَالَمَ عِبَارَةٌ عَنِ قَرْيَةٍ كَوْنِيَّةٍ وَاحِدَةٍ تَنعَدِمُ فِيهَا الْقَوْمِيَّات[1]، وَتُصْبِحُ الْقَوْمِيَّةُ وَالثَّقَافَةُ وَالِاسْتِقْلَالُ الْحَضَارِيُّ اتِّجَاهَاً مُتَخَلِّفاً مُتَنَاقِضاً وَالْحَضَارَةَ الْإِنْسَانِيَّةَ الْمعُوْلَمة[2]. فَقَدْ اتَّجَهتُ الْعَوْلَمَةِ إِلَى تَوْحِيدِ الثَّقَافَةِ الَّتِي تتَنَاقَضُ مَعَ الْخُصُوصِيَّةِ *Privacy* لأَي شَعْبٍ[3]، تَقُومُ عَلَى :" صِنَاعَةِ السُّوقِ الَّتِي تَضَمَنُ عَالَمِيَّةُ

الْعَوْلَمَة والخصوصية، الْفِكْر السِّيَاسِيّ- اتحَاد الْكِتَّابِ العَرَبِ – دِمَشْقُ الْعَدَد ٤و٥ دِمَشْق ١٩٩٨-١٩٩٩ ص ٢٤٣.

(١) رِسْلان خَضُوَر وَسَمِير إِبرَاهِيم، مُسْتَقْبَل الْعُوْلَمَة، قَضَايَا رَاهِنَة: الْمَرْكِز العَرَبِيُّ للدرَاسَاتِ الاستراتِيجِيَّة، الْعَدَدُ ٧ دِمَشْق ١٩٩٨ ص ٨. وَيُرَاجَع:

Wong Yizhou, New Security Concept in Globalization, Being China ,February 15 -21 , 1999.p.5.

(٢) حَسن حَنَفِي، الثَّقَافَةُ العَرَبِيَّة بَيْنَ الْعَوْلَمَة والْخُصُوصِيَّة، الْفِكْر السِّيَاسِيّ- اتحاد الْكِتَّاب العَرَب – دِمَشْق الْعَدَد ٤و٥ دِمَشْق ١٩٩٨- ١٩٩٩ ص ٢٤٣. وَيُرَاجَع أيضاً:

David J. Smith, If the World Like were Village, Kidg Can Press, 2002, p. 23.

وَيُرَاجَع عَنِ الْعَوْلَمَة الْمُؤَلَّفَات الآتية:

رونالد روبرتسون، الْعَوْلَمَة : النَّظَرِيَّة الاجْتِمَاعِيَّة و الثَّقَافَة الكَوْنِيَّة، ؛ ترجمة أحمد محمود... [وآخرون]. - ط. ١. - [القاهرة]، مِصْر : الْمَجْلِس الاعلى للثقافة، ١٩٩٨.

سيار الجميل، الْعَوْلَمَة والْمُسْتَقْبَل : استراتيجية تفكير. - الأهلية عَمَّان، الأُرْدُنّ ٢٠٠٠.

مايك فيذرستون، ثقافة الْعَوْلَمَة : الْقَوْمِيَّة وَالْعُولِمَة وَالحداثة ؛ تَرْجَمَة عَبْد الوهَاب عَلُوب. - ط. ١. – الْقَاهِرَة، مِصْر : الْمَجْلِس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٠. مايك فيذرستون، محدثات العولمة،؛ تَرْجَمَة عَبْد الوهاب علوب. ط. ١. الْقَاهِرَة، مِصْر : الْمَجْلِس الأعلى للثَّقَافَة، ٢٠٠٠.

(٣) عَبْد الجَلِيل كَاظم الوَالِي، جَدلِية الْعَوْلَمَة بين الاختيَار و الرَفض، مَجَلَّة الْمُسْتَقْبَل العَرَبِيّ، الْعَدَد (٢٧٥) السُّنَّة (٢٤) كانون ثاني- بَيْرُوت ٢٠٠٢ ص ٦٠.

التَّصْدِير وَالاستِيرَاد"[1]. أَوْ تَقُومُ عَلَى سِيَادَةِ نِظَامِ اقْتِصَادِيٍّ وَاحِدٍ يَنْضَوِي تَحْتَهُ مُخْتَلَفُ دُوَلِ العَالَمِ فِي مَنْظُومَةٍ متَشَابكةٍ مِنْ العِلاَقَاتِ الِاقْتِصَادِيَّةِ، تَقُوم عَلَى أَسَاسِ تَبَادُلِ الْخِدْمَات وَالسِّلَع والمُنْتَجَات والأَسْوَاق وَرُؤُوس الأَمْوَال"[2]. وَتَخْتَلِفُ بِذَلِكَ الْعَوْلَمَة عَنِ الْأَمْرِكَةِ. فَالْأَمْرِكَةُ *Americanization*، تَعْنِي نَقل الثَّقَافَةِ الْأَمْرِيكِيَّةِ إِلَى العَالَمِ.

ويعتقد الْبَعْض أَنْ الدِّفَاع عَنِ الْعَوْلَمَة هُوَ الدِّفَاع عَنِ الحَيَاة والنمو الِاقْتِصَادِيّ والاجتماعي لِلْعَالِمِ[3]. فكَثِيراً مَا طُرِحَ مَفْهُومُ الْعَوْلَمَةِ عَلَى أَنَّهُ نَقلُ قُدْرَاتِ العَالَمِ المتَطَوِّرِ عِبْرَ الِاتِّصَالاتِ والصِّنَاعَةِ وَالتِّجَارَةِ، إِلَى مَنَاطِقِ العَالَمِ الْمُتَخَلِّفِ. وَمِمَّا جَعَلَ مَفْهُوم الْعَوْلَمَةِ أَكْثَرَ أَهَمِّيَّة، هُوَ أَنَّهُ، للمَرةِ الْأُولَى أَثَارَت هَذِهِ المَفَاهِيمُ حَمَاسَ العَدِيدِ مِنْ الدُّوَل حَوْل العَالَمَ مِنْ أَجْلِ الانخرَاطِ بِهَا، وَكَانَتْ هَذِهِ المُحَاوَلَةَ للانخرَاطِ بِمَحْضِ إرادة هَذِهِ الدُّوَل وَسَعْيَهَا الحثيث، وَلَيْسَ نَتِيجَة أَنَّ هَذِهِ الدُّوَل قَدْ سِيقَت إِلَى الِانْضِمَام لِهَذِهِ التَّنْظِيمَات مجبرة، وَإِنْ كَانَتْ الظُّرُوفُ المحيطة بمَفْهُوم الْعَوْلَمَةِ دَفَعت العَدِيدَ مِنْ الدُّوَل إِلَى الِانْدِفَاع مِنْ أَجْل الِانْضِمَام بمَفْهُوم العَالَمِيَّة حَتَّى تَتَحَاشى النِّهَايَة القاتلة المُتمثلة فِي الْعُزْلَة الِاقْتِصَادِيَّة. وَيُوسعُ الْبَعْضُ مِنْ الْعَوْلَمَةِ فِيجدهَا: بِأَنَّهَا عَمَلِيةٌ مُعَقدةٌ لا تَمسُ مَجَالَ إنتَاجِ وتَبَادُلِ الْمَوَادِ وَالْخِدْمَاتِ فَحَسْب، بَلْ إِنَّها تَشْمَلُ الْمَجَالَ

---

[1] السيد أحمد مُصطفى عُمَر، إعلام الْعَوْلَمَة وتأثيره فِي المُستهلك، مَجَلَّة الْمُسْتَقْبَل العَرَبِيّ، الْعَدَد (٢٥٦) السَّنَة (٢٢)، ٢٠٠٠ بَيْرُوت ٦٩ .

[2] للتفَاصِيلِ عَنِ الْعَوْلَمَة يُرَاجَع:

Nathalic Kargiannis, Peter Wagnes, Varieties of World-Makiner: Beyond Globalization, Liverpool University Press, London 2007. P.18.

Joseph E. Stiglitz. Making Globalization Work, Norton & Company 2007, p.20.

وَيُرَاجَع أيضاً: عَبْد الجَلِيلِ كَاظم الوَالي، مَصْدر سَابِق، ص٦٩.

[3] يرَاجِع:

Jagdish Bhagwati, In Defense of Globalization, Oxford University, 2007, p. 6.

الثقافيِّ والقَوْميِّ والاجْتِماعِيِّ[١]. فالعَوْلَمة هِيَ الخِيارُ لِحياةٍ اقتِصاديَّةٍ مَفْرُوضَة عَلَى العالَمِ.

وتُعَدُّ العَوْلَمَةِ تَحَدِّيًا لِجَمِيعِ القَوْمِيَّاتِ بِصُورَةٍ عامَّةٍ. فَعَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّ العَوْلَمَةِ تختصُ بالقَضَايَا التِّجَارِيَّة وَالِاقْتِصَادِيَّةِ الدُّوَلِيَّةِ وَلاَ عَلاَقَة لَهَا بالمَوْضُوعَاتِ الثَقافِيَّةِ[٢]، إلا أَنَّ المَسَائِلَ الثَقافِيَّة تُعَدُّ مِنْ الأَهْدَافِ الأَسَاسِيَّةِ للعَوْلَمةِ الَّتِي تَسْتَخْدِمهَا عِبْرَ مُنْظِمَةِ التِّجَارَةِ العَالَمِيَّةِ بِحُجَّةِ تِجَارَةِ المَوَادِّ المَرئِيَّةِ والصُوتِيَّةِ وَغَيْرِهَا مِمَّا يَتَعَلَّقُ بِعَرضِ المَوْضُوعَاتِ الثقافِيَّةِ الَّتِي تَحْمِلُهَا الثَقَافَةُ الأَمْرِيكِيَّةُ، بِمَا لَهَا مِنْ تَأْثِيرٍ عَلَى الشَّبَابِ المُرَاهِقِينَ.

وَرَافَقَ ذَلِكَ رَبطُ وَسَائِلِ الإِعْلاَمِ مَعَ الوَسَائِلِ الالِكتروُنِيَّةِ الحَدِيثَةِ وَخَلَقَ نِظَامِ اتَصَالٍ مَبْنِي عَلَى تَرَابُطِ هَذِهِ الوَسَائِل، مِمَّا أَدَّى إِلَى إِطْلاَقِ ثَوْرَةٍ إِعْلاَمِيَّةٍ أَظْهَرَتْ إِمْكَانِيَّاتٍ هَائِلَة لتَطْوِيرِ الحَيَاةِ الإِنْسَانِيَّةِ وَمِنْ ثُمَّ السَّيْطَرَةُ عَلَيْهَا، وَهَذِهِ الكَمِيَاتُ الهَائِلَةُ مِنْ الطَّاقَةِ العَقْلِيَّةِ الَّتِي تُوَلِدهَا تَقَنِيَاتُ الإِعْلاَمِ، تُمْلَكُ أَوْ تُدَارُ غَالِبِيتهَا العُظْمَى مِنْ قِبَلِ مُؤَسَّسَاتٍ إِعْلاَمِيَّةٍ تَعْمَلُ عِبْرَ الدُّوَلِ، وَالشَّرِكَاتِ الخَاصَّةِ المُتَعَدِّدَةِ الجِنْسِيَّةِ. ومِمَّا لا شَكَ فِيهِ أَنَّ نَجاحَ الدُّوَلِ الغَرْبِيَّة فِي تَوَظِيفِ هَذِهِ الوَسَائِلِ فِي مَجَالِ نَشْرِ الثَقَافَةِ الغَرْبِيَّة يُمَثِلُ ثَوْرَةً كَبِيرَةً فِي إِدَارَةِ حُرُوبٍ مِنْ بَعِيدٍ دُون أَنْ تَتَضرَرَ بَضرر وَدُون اسْتِخْدَامَ الجُيُوشَ[٣].

---

[١] الدُّكْتُورُ صَالِحُ النَملةُ، عَولمةُ التَأثير، جَرِيدة الرِيَاض اكسْبريس، الرِيَاض الِاقْتِصَادِيّ، منتدى الكتاب. ٢٠٠٢/٢/٢ (مؤسَسة اليَمَامة الصَحفِية)الانترنيت موقع (العَوْلمة)

[٢] يُرَاجَع عَنِ الخِيَارِ الاقْتِصادِيِّ للعَولَمَةِ:

John Cavanagh, Alternatives to Economic Globaliziaton, Berrett-Koehler Publishers, 2002, p.5.

[٣] الدُّكْتُورُ عَبْد الله بلقزيز وآخرون، إشكالية العِلاَقَة الثَقافِيَّة مَعَ الغرب، مَرْكَزُ دِرَاسَاتُ الوَحْدَة العَرَبِيَّة، ط١ بَيْرُوت أيار ١٩٩٧ ص ٢٢٤. كَذَلِكَ يُرَاجَع نَبِيل دِجَانِي، البُعدُ الثَقافِيّ والاتصَال فِي ضُوءِ النِّظَام العَالَمِي الْجَدِيدِ، مَجَلَّةُ المُسْتَقْبَلِ العَرَبِيِّ، العَدَدُ ٢٢٤ بَيْرُوت ١٩٩٧، ص ٥٩.

وتَعْمَلُ الوِلاياتُ المُتَّحِدةُ الأمريكيّةُ على تَغييبِ الثقافاتِ الوَطنيّةِ وإلغائِها وإبْعادِها عَنِ هيمنَةِ الدَّوْلةِ وتَبَنّي سِياسةً لا تَخْضَعُ لقيَمٍ ومَعاييرَ وطَنيّةٍ، وإنّما لمعاييرِ البَقاءِ في إطارِ المنافسةِ العالميّةِ[1]. وتَغييرِ مَفاهيمَ المُجتمعاتِ وأنماطِ سُلوكِهِمْ في اتِّجاهِ الأذْواقِ والسُّلوكِ. وبعِبارةٍ أدقَّ، تَغريبَ الثقافةِ في جميعِ دُوَلِ العالَمِ[2].

وتَنْطَلِقُ الوِلاياتُ المُتَّحِدةُ الأمريكيّةُ مِنْ وجْهةِ نَظَرِها الخاصّةِ، ومِنْ نِظامِ الحُكْمِ السّائدِ فيها لتَعميمِهِ على شُعوبِ العالَمِ جميعاً. وتَقومُ وجْهةُ نَظَرِها الخاصّةُ على أساسِ أنَّ المُجتمَعَ الأمريكيَّ مُتَعَدِّدُ الأدْيانِ ومُتَعَدِّدُ القَوْميّاتِ والأعْراقِ. وكانَ تَعايشُ هذهِ المُجتمَعاتِ المُختلِفةِ يَقومُ على أساسِ الثقافةِ المُوَحِّدةِ في الوِلاياتِ المُتَّحِدةِ الأمريكيّةِ. وتُحاوِلُ الوِلاياتُ المُتَّحِدةُ الأمريكيّةُ نَقْلَ تَجْرِبَتِها إلى دُوَلِ العالَمِ أجْمَعَ. فمِنَ الثابتِ أنَّ اغلبَ المُنازَعاتِ الدُّوَليّةِ والحُروبِ الأهْليّةِ، تَنشَبُ بَيْنَ الدُّوَلِ بسَبَبِ التَّعَصُّبِ الدِّينيِّ والتَّعَصُّبِ القَوْميِّ والعِرْقيِّ.

وتَعْتَقِدُ الوِلاياتُ المُتَّحِدةُ الأمريكيّةُ أنَّ نَقْلَ التَّجْرِبةِ الأمريكيّةِ سَوْفَ يقلل مِنَ المُنازَعاتِ الدُّوَليّةِ القائمةِ على التَّعَصُّبِ الدِّينيِّ والقَوْميِّ والعرقي. وهذا ما يَتَطَلَّبُ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ القَضاءَ على المَشاعِرِ القَوْميّةِ والدِّينيّةِ والعِرقيّةِ، عَنْ طَريقِ تَعميمِ الثقافةِ الأمريكيّةِ وفَرْضِها على العالَمِ. ومِنْ هذا المُنْطَلَقِ عَمِلَتْ الوِلاياتُ المُتَّحِدةُ الأمريكيّةُ على شَنِّ حَرْبٍ كبيرةٍ وواسِعةٍ على المُنَظّماتِ الدِّينيّةِ والقَوْميّةِ، وعلى الدُّوَلِ الّتي تَتَمَسَّكُ بالدِّينِ والقَوْميّةِ. وكانَ نَصيبُ الوَطَنِ العَرَبيِّ مِنْ هذهِ الحَمْلةِ كَبيراً وقِياسيا. ومِنَ النّاحيةِ المَوْضوعيّةِ يُمْكِنُ القَوْلَ أنَّ التَّجْرِبةَ الأمريكيّةَ لا يُمْكِنُ تَطْبيقُها في الدُّوَلِ الأُخْرى لأسْبابٍ مُتَعَدِّدةٍ مِنْها:

---

[1] علاءُ جبّار أحمدُ سَعيدُ، الدَّوْلةُ القطريّةُ العَرَبيّةُ بَيْنَ العَوْلَمةِ والخِيارِ القَوْميِّ العَرَبيِّ، رِسالةُ ماجستير مُقدَّمةٌ إلى كُليةِ العُلومِ السِّياسيّةِ جامعةِ بَغْداد ٢٠٠١ ص ٣٣.

[2] الدُّكْتورُ جلال أمين، العَوْلَمةُ والتنميةُ العَرَبيّةُ مِنْ حَمْلةِ نابليُون إلى جولةِ الأورغواي، ١٧٩٨-١٩٩٨ مَركزُ دراساتِ الوَحْدةِ العَرَبيّةِ ط١ بَيْرُوت أيلُول ١٩٩٩ ص ١١٦.

١- إنَّ الأَسَاسَ الَّذِي اعْتَمَدَت عَلَيْهِ الْوِلَايَاتُ الْمُتَّحِدَةُ يُعَدُّ أَسَاسًا هشًا وَفَاشِلاً. فالمُجْتَمَعُ الْأَمرِيكِيُّ لَمْ يَكُنْ مُوَحَّدَ الثَقَافَاتِ. وَإِنْ التَّمْيِيزَ الدِّينِيَّ وَالْقَوْمِيَّ وَالعِرْقِي هُوَ أعلى مُسْتَوَى مِنْ أية دَوْلَةٍ أُخْرَى.

٢- إنَّ الدُّوَلَ مَهْمَا تَوَحَّدَت اقْتِصَادِيَّاتُهَا وَتِجَارَتُهَا فَإِنَّهَا تَبْقَى مَحْكُومَةً بعَوَامِلِهَا التَّارِيخِيَّةِ والدِّينِيَّةِ وَالْقَوْمِيَّةِ، وَإِنَّهُ مِنْ الصُّعُوبَةِ النَفَاذُ إِلَى مِثْلِ هَذِهِ المُجْتَمَعَاتِ.

٣- إنَّ الْوِلَايَاتَ الْمُتَّحِدَةَ الْأَمْرِيكِيَّةَ تَهْدِفُ مِنْ وَرَاءِ تَوْحِيدِ الثَقَافَاتِ فِي دُوَلِ العَالَمِ، القَضَاء عَلَى الْمَشَاعِرِ الدِّينِيَّةِ والْقَوْمِيَّةِ الَّتِي تُعَدُّ أَسَاسًا للعَدِيدِ مِنْ المُجْتَمَعاتِ الشَّرْقِيَّة. وَتَهْدِفُ إِلَى خَلقِ مُجْتَمَعاتٍ فَاسِدَةٍ وَمُتَدنِيَّةٍ بَعِيدة عَنِ الْقَيِّمِ وَالْأَخْلاقِ والمبَادِئ الْإِنْسَانِيَّة. وَإِنْ الْحَمْلَةَ الَّتِي تَقُودهَا الْوِلَايَاتُ الْمُتَّحِدَةُ الْأَمْرِيكِيَّةً مُنْذُ أحداث الْحَادِي عَشَر مِنْ أيلُول عَام ٢٠٠١ ، بِحُجَّةِ مُحَارَبَةِ الْإِرْهَابِ إِنَّمَا هِيَ مُوَجَّهَةٌ أَسَاسًا ضِدّ الْمَشَاعِرِ الدِّينِيَّةِ وَالْقَوْمِيَّةِ وَضِدَ الْوَطَنِيَّةِ فِي العَدِيدِ مِنْ الأحيَانِ كَمَا حَصل بِالنِّسْبَةِ للشَّعَبِ الْفِلَسْطِينِيِّ وللشَّعَبِ الْعِرَاقِيِّ.

٤- إنَّ حَضَارَةَ الْوِلَايَاتِ الْمُتَّحِدَةِ الْأَمْرِيكِيَّةِ، تَتَّصفُ بالْمَادِّيَّةِ، وَمَبْنِيَّةٌ عَلَى رُوحِ المُنَافَسَةِ والاسْتِحْوَاذِ الَّتِي طَغت فِيهَا الآلةُ وتَحَوَّلَ المُجْتَمَعُ إِلَى أُنْمُوذَج الْإِنْتَاجِ وَالتَّبَادُلِ، تَذُوبُ فِيهِ الْخُصُوصِيَّةُ التَّارِيخِيَّةُ والإِنْسَانِيَّةُ[1]. وَمِنْ الْمُؤَكَّدِ أَنَّ مِثْلَ هَذِهِ الْحَضَارَة تَتَنَافى وَالتَّقَالِيد الَّتِي تُؤمنُ بِهَا العَدِيدُ مِنْ شُعُوبِ العَالَمِ.

إنَّ أَبْرَزَ مَا يَتَعَرَّضُ لَهُ العَالَمُ فِي الْوَقْتِ الحَاضِرِ هُوَ الْعَوْلَمَةِ تَحْت شِعَارِ حُرِّيَّةِ التِّجَارَةِ العَالَمِيَّةِ. لتكريس نِظَامِ الْجُوعِ والبَطَالَةِ وَالاحتِرَابِ الأَهْلِيِّ وَتَدْمِيرِ البُنِيَةِ الاجْتِمَاعِيَّةِ، وَتَهمِيشِ البَشَرِ وَتَرسِيخِ الْعُنْصُرِيَّةِ وَالتَحِيزَاتِ المُورُوثة وَضِيقِ الأفقِ الإثني وَالتَّعَصُّبِ الطَائِفِي. وأَخْطَرَ مَا يُسَخِّر مِنْ أَجْلِهِ هُوَ تَفْكِيكُ الِانْتِمَاءِ الْقَوْمِيِّ. فَإِذَا مَا تَجَاسَرَ الْمَرْءُ هَذِهِ الْأَيَّامَ وَتَكَلَّمَ عَنِ التَّغْيِيرِ الثَّوْرِيِّ وتَخَطِّيِّ الْكَائِنِ الرَأسمَالِيِّ أَوْ عَنِ التَّنْمِيَةِ الْوَطَنِيَّةِ وَالْقَوْمِيَّةِ، أَوْ عَنِ تَحْرِيرِ الأَرْضِ وَالمَوَارِدِ وَالْإِنْسَانِ، أَوْ عَنِ الوَحْدَةِ

---

[1] علاء جبار أحمد سَعيد، مَصْدر سَابِق، ص ٣٣.

القَوْمِيَّةِ، ارتَسَمت عَلَى وُجُوهِ الْحُضُورِ ابتِسَامَةُ شَفَقَةٌ وازْدِرَاء، وَتَهَامَسُوا فِيمَا بينهم مُعْتَبِرِينَ الْمُتَكَلِّمَ خَارِجَ التَّارِيخ وَرُومَانسِياً حَالَماً يَعِيشُ الْمَاضِي الْوَرْدِيِّ، وَذَلِكَ كُلُّه بالطَّبْعِ باسْمِ حُرِّيَّةِ التِّجَارَةِ العَالَمِيَّةِ وَمَا يَرْتَبِطُ فِيهَا مِنْ تَقَانةٍ متَطَوِّرةٍ كالحَاسُوب والإنترنت وَثَوْرَةِ الِاتِّصَالاتِ. وَلاَ يَقْتَصِرُ هَذَا الْمَوْقِفُ عَلَى أوسَاطِ الْيَمِينِ التَّقْلِيدِيِّ، وَإِنَّمَا يَتَعَدَّاهُ إِلَى أوسَاطِ الْيَمِينِ الْجَدِيدِ (اليسارُ سَابقاً)[1].

وتؤثر الْعَوْلَمَةِ عَلَى الْهَوِيَّةِ الْقَوْمِيَّةِ بِصُورَةٍ عَامَّة مِنْ جِهَاتٍ عِدَّة مِنْهَا:

١- يَعْمَلُ الرَّأْسِمَالُ العَالَمِيُّ الْمُعَوْلَم عَلَى مُحَاصَرةِ الدُّوَل الْقَوْمِيَّةِ الَّتِي تَشَكَّلت فِي الْمَرَاحِلِ السَّابِقَة بِفَضْلِ حَرَكَاتَ التَّحَرُّرِ الْقَوْمِيِّ، وَاتِّهَامِهَا بالعنْصُرِيَّةِ والطَّائِفِيَّةِ الضَيِّقَة، وَأَنَّ وُجُودَهَا يَتَعَارَضُ مَعَ مَصْلَحَةِ السُّوقِ العَالَمِيَّةِ عَلَى حِسَابِ الْوَاقِعِ الْوَطَنِيِّ وَالتَّنْمِيَةِ الْوَطَنِيَّةِ[2].

٢- شَهِدَ عَصْرُ حُرِّيَّةِ التِّجَارَةِ العَالَمِيَّةِ تَنَامِياً مَلْحُوظاً فِي تِجَارَةِ الْمُخَدِّرَاتِ وَالْجَرِيمَةِ الْمُنَظَّمَةِ عَالَمِيَاً وَتَدَخُلُهمَا مَعَ الرَّأْسِمَال النَقدِيِّ. وَهِيَ مِنْ الْأُمُورِ الَّتِي تُؤثرُ عَلَى الْهَوِيَّةِ الْقَوْمِيَّةِ.

٣- أَزَالَتْ حُرِّيَّةُ التِّجَارَةِ العَالَمِيَّةِ الْأَسْوَارَ الْقَوْمِيَّةَ وَالْوَطَنِيَّةَ الَّتِي كَانَتْ تَحَدُّ مِنْ حُرِّيَّةِ حَرَكَةِ الرَّأْسِمَالِ وَالشَّرِكَاتِ وَالْمُؤَسَّسَاتِ الْمُتَعَدِّدَة الْجِنْسِيَّات وَمِنْ سَاحَةِ فِعْلِهَا. فالْعَوْلَمَةُ كالطُّوفَانِ تَجرُفُ أَمَامَهَا وَأَمَامَ فَوْضَاهَا أَقْوَى السُّدُودِ

---

[1] الدُّكْتُورُ هشام غضيب، حُرِّيَّة التِّجَارَة العَالَمِيَّة والهَوِيَة الْقَوْمِيَّة. بحث فِي الانْتَرنِيَت موقع (الْعَوْلَمَة)

[2] يُرَاجَع عَنِ مَدَى تَأْثِير الْعَوْلَمَة عَلَى الْقَوْمِيَّةِ:

Deborah A. Thomas, Modern Bleakness Nationalism, Globaliziaton, Duke University Press Book, 2004, p. 13.

والصُّرُوح[١]. وهذا يعني أنَّ الهويَّة القوميَّة فقدت خاصيَّتها عندما دُمجت بالمُجتمعات الأُخرى.

٤- يرى مؤيدو العولمة أنْ العولمة جاءت بنظام متكامل من جميع الوجوه. فهي تتعدى الجانبي الاقتصادي، وتهدف إلى عولمة الثقافة[٢]، والفن[٣]، والتعليم[٤]، والصحة[٥]، والسياسية والمواطنة والديمقراطية[٦]، وتشمل جميع جوانب الحياة العامة الأخرى.

ويلحظ على ذلك ما يأتي:

١- راجت في كثير من الأوساط مؤخراً مقولة، أنَّ الدولة القومية فقدت المبرر لوجودها في عصر حرية التجارة العالمية، وأصبحت عبئاً على الاقتصاد

---

[١] الدكتور هشام غضيب مصدر سابق.

[٢] يراجع عن عولمة الثقافة:

John Toralinson, Globalization and Culture, University of Chicago Press. 1999, p. 31.

[٣] يراجع عن عولمة الفن:

Jonathan Harris, Globalization and Contemporary Art, Wilry- Blackwell, 2011, p.24.

[٤] يراجع عن عولمة التعليم:

Karen Monkman, Globalization an Education, Rowman & Littlefiled Publisher, 2000, p.30.

[٥] يراجع عن عولمة الصحة:

Kelley Lee, Globalization and Health, Palgrave Macmillan, 2004, p. 32.

[٦] يراجع عن عولمة المواطنة والديمقراطية:

Mark Olssn, Globalization, Citizenship and Democracy, Sage Publcations LTD, 2004, p.32.

الرَّأْسِمَالِيِّ. وتَسْعَى الرَّأْسِمَالِيَّةُ إلَى تَفْكِيكِهَا وإزالتها، وَكَانَت الرَّأْسِمَالِيَّةُ قَدْ أَفْلَحَتْ فِي تَحْقِيقِ مَا حَلَمَتْ بِهِ الِاشْتِرَاكِيَّةُ وَمَا عَجَزَتْ الْأَخِيرَةُ عَنِ تَحْقِيقِهِ. لَكِنْ أَصْحَابَ تِلْكَ المَقُولَة يَتَنَاسَونَ أَنَّ الرَّأْسِمَالِيَّة نَشَأَتْ مُعَولَمَة مِنْ رَحِمِ التِّجَارَةِ الْدُوَلِيَّةِ، وَأَنَّهَا مَعَ ذَلِكَ عَمِلَتْ عَلَى نُشُوءِ الدَّوْلَةِ الْقَوْمِيَّةِ فِي الْمَرَاكِزِ الرَّأْسِمَالِيَّة. وَكَانَ لِلدَّوْلَةِ الْقَوْمِيَّة دَوْرٌ أَسَاسِيٌّ فِي تَرسِيخِ الرَّأْسِمَالِيَّةِ وَهِيمَنَتِهَا فِي الْمَرَاكِزِ وَعَلَى الْأَطْرَافِ. وَهُمْ يَتَنَاسَونَ أيضاً أَنَّ طَوْرَ الأمبريَالِيَّة، الَّذِي بَدأ عَام ١٨٧٠ وَيَشْهَدُ تَقْسِيمَ الْكُرَةِ الْأَرْضِيَّةِ بَيْنَ الْمَرَاكِزِ الرَّأْسِمَالِيَّة الْكُبْرَى، تَوَسُّعًا غَيْر مَسْبُوقٍ فِي الرَّأْسِمَالِ، شَهِدَ أيضاً تَوَسُّعًا غَيْر مَسْبُوقٍ فِي أَجهزةِ الدَّوْلَةِ الْقَوْمِيَّةِ الْمَرْكَزِيَّةِ وَنِطَاقِ فِعلِهَا وَنُفُوذِهَا.

٢- الْعَوْلَمَة لا تَدُلُّ أبداً عَلَى أَنَّ الدَّوْلَةَ الْقَوْمِيَّةَ فَقَدَتْ مُبَرِرَ وُجُودِهَا. فالرَّأْسِمَالِيَّة لا تَسْتَطِيعُ الْبَتَّةَ، وَبِحُكْمِ جَوْهَرِهَا وَفِي أَطْوَارِهَا كَافَّةً، القَضَاءَ عَلَى الدَّوْلَةِ الْقَوْمِيَّةِ. إنَّ طَوْرِ الْعَوْلَمَةِ، يَتَخطَّى الْهَوِيَّةَ الْقَوْمِيَّةَ وَيَعْتَبِرها غَيْر كَافِيَةٍ لِتلبِيَةِ حَاجَاتِهَا السِّيَاسِيَّةِ وَالِاقْتِصَادِيَّةِ، وَمِنْ ثُمَّ تَعْمَلُ إلَى خَلْقِ أُطرٍ سِيَاسِيَّةٍ جَدِيدَةٍ مَعْوْلَمَة، وَمَعْنَى ذَلِكَ أَنَّ الرَّأْسِمَالَ الْمَعْوْلَم يَسْتَلْزِمُ تَغْيِير وَظَائِفَ الدَّوْلَةِ الْقَوْمِيَّة الْمَرْكَزِيَّة وَلاَ يَكْتَفِي بِهَا، وَإِنَّمَا يَعْمِد إلَى خَلْقِ أُطرٍ سِيَاسِيَّةٍ وَاقْتِصَادِيَّةٍ مَعْوْلَمَةٍ تُكَمِلُهَا. وَمِنَ الْوَاضِحِ أَنَّ عَدَمَ الِاكْتِفَاءِ بِالشَّيْءِ لا يَعْنِي الِاسْتِغْنَاءَ عَنْهُ.

٣- إنَّ حُرِّيَّةَ التِّجَارَةِ العَالَمِيَّةِ تَنْزِعُ إلَى تَفتِيتِ الأُمَمِ وَالتَكتلاتِ الْقَوْمِيَّةِ فِي الْأَطْرَافِ عَلَى أُسُسٍ إثنِيةٍ وطَائِفِيَّةٍ ضَيِّقَةٍ. فَهَذِهِ التَّكْوِينَات الْقَوْمِيَّة يَعُدُّهَا الرَّأْسِمَالُ الْمَعْوْلَمُ عَائِقاً وَحَاجِزاً أَمَامَهُ وأَمَامَ السُّوقِ العَالَمِيَّةِ الَّتِي يُهَيْمِنُ عَلَيْهَا. لِذَلِكَ يَسْعَى إلَى تَكْسِيرِهَا وَتَفتِيتِهَا. وَمِنَ الْأَسْهَلِ عَلَيْهِ دَمجُ الكِيَانَاتِ الاثنِيةِ وَالطَائِفِيَّةِ الهَشةِ فِي السُّوقِ العَالَمِيَّةِ الْمَعْوْلَمَة مِنْ دَمجُ الأُمَمِ وَالتَكتلاتِ الْقَوْمِيَّةِ الْكَبِيرَةِ فِيهَا. لِذَلِكَ كَانَ لِلعُولَمَةِ دَورٌ أَسَاسِيٌّ فِي تَفتِيتِ الاتِّحَادَ السُوفِيتي وَيُوغسْلافِيَا وَتشِيكُوسْلُوفَاكِيَّا، وَيَسْعَى إلَى تَقْسِيمِ، الْهِنْدَ وَالْعِرَاق وَالسُّودَانَ وَمِصْرَ وَالْجَزَائِرَ وَغَيْرِهَا مِنَ الدُّوَل العَرَبِيَّةِ والْإِفْرِيقِيَّةِ والآسْيَوِيَّةِ. وَفِي الْوَطَنِ العَرَبِيّ وَأَفْرِيقْيَا

المُفتَتِين أصْلاً، فإنهُ يَسْعى إلَى مَزيدٍ مِنْ التَفْتِيتِ والبَلقَنَةِ دَاخِلَ القُطْرِ الوَاحِدِ وَالإقْلِيمِ الوَاحِدِ، يُسَاعِدُهُ فِي ذَلِكَ تَلاحُمُهُ و اشْتِرَاكهُ فِي الهَدَفِ مَعَ المَشْرُوعِ الصَهْيُونِيِّ.

٤- أنَّ نَزعَةَ التَفتِيت القَوْمِيّ فِي الأطْرَافِ لَدَى الرَّأسمَال المَرْكَزي لَيْسَتْ بجَدِيدَةٍ. فمُنْذُ دُخُولُ الرَّأسمَالِيَّةِ مَرْحَلَةَ الإمبريَالِيَّةَ فِي الثُلُثِ الأخِيرِ مِنْ القَرْنِ التَّاسِعِ عَشَر، وَهِيَ تَسْعَى إلَى تَفْتِيتِ أُمَمِ الأطْرَاف وَخَلْقِ الآلِيَّاتَ للحَيْلُولَةِ دُونَ تَحْقِيقَ وَحْدَتِهَا عَلَى أُسُسٍ تَنمُويَّةٍ جَدِيدَةٍ تَنسَجمُ وروح العَصْر. وَلَئِنْ أخفقت الإمبريَالِيَّةَ فِي مَطْلَعِ القَرْنِ العِشْرِينَ فِي تَفْتِيتِ رُوسِيَا، فإنَّهَا أفْلَحَتْ فِي ذَلِكَ تَمَامَاً فِي الوَطَنِ العَرَبِيِّ، وَفِي أمَاكِنَ أُخْرَى مِنْ الأطْرَافِ. وَجَاءَتْ رَدَّةُ الفِعْل لِهَذَا النُّزُوع الإمبريَالِيَّ عَلَى صُورَةِ ثَوْرَاتِ تَحَرُّرٍ قَوْمِي فِي الأطْرَافِ، وَوُضِعَتْ هَذِهِ الثَوْرَات الحَرَكَات نُصْبَ عَيْنَيْهَا تَعْطِيلَ آلِيَّاتَ التَفْتِيتِ الإمبريَالِيَّة وَتَوْحِيدِ أُمَمِ الأطْرَافِ، وَخَلْقِ تَكَتلاتٍ قَوْمِيَّةٍ عَلَى أُسُسٍ تَارِيخِيَّةٍ وَثَقَافِيَّةٍ وَتَنمَوِيَّةٍ. إذْ أدْرَكَتْ أنَّ لا مَعْنَى للتَّنْمِيَةِ المُتَمَحْوَرَةِ حَوْلَ الذَّاتِ والمُعَطلةِ لآلِيَاتِ التَّخَلُّفِ الرَّأسمَالِيَّةِ، وَلا مَعْنَى للتَّقَدُّمِ الَّذِي يُوَفِّرُ أرْضِيَّةَ الحُرِّيَّةِ وَالإخَاءِ وَالمُسَاوَاةَ، إلا فِي ضِمْنِ إطَارٍ قَوْمِيٍّ وَاسِعٍ، يَأخُذُ وَحْدَهَ التَّارِيخِ وَالثَقَافَةِ بِعَيْنِ الِاعْتِبَارِ.

٥- لَقَدْ ثَبَتَ مِنْ خِلَال التَّجْرِبَة، أنَّ الرَأسمَالَ المُعَوْلَمَ، لَمْ يَتَمَكَّنْ مِنْ التَّصَدِّي للتَّخَلُّفِ وَالفَقْرِ وَالجُوعِ الَّتِي اجْتَاحَتْ العَالَمَ فِي عَصْرِ العَوْلَمَةِ، فَقَدْ ازْدَاد الفُقَرَاء فُقَرَاً، وَعَمَّتْ الفَوْضَى الخَلاقَةُ العَالَمَ كُلَّهُ، وَانْتَشَرَت الحُرُوبُ الأهْلِيَّة، وَاسْتَلمت الأقَلِّيَّاتُ السُّلْطَةَ فِي العَدِيدِ مِنْ دُوَلِ العَالَمِ وَرَاحَت تَتَحَكَّمُ بالأكْثَرِيَّةِ. وَكَانَ الوَطَنُ العَرَبِيُّ مَسرحاً لِهَذِهِ الفَوْضَى الخَلاقَة.

٦- تَرَاجَعت أخْطَارُ العَوْلَمَةِ، بالأزْمَةِ المَالِيَّةِ الَّتِي انْطَلَقَت فِي نِهَايَةِ عَام ٢٠٠٨، مِنْ مَرْكَزِ العَوْلَمَةِ فِي العَالَمِ، وَامْتَدَّتْ إلَى حَلِيفَاتهَا، وَشَمَلَت كُلَّ الرَّأسمَال

الْمُعَوْلَم[1]. فَلَمْ تَتَمَكَّنْ الْعَوْلَمَةِ مِنْ إِنْقَاذِ الشَّرِكَاتِ الْمَالِيَّةِ العَالَمِيَّةِ، وأُغلقَتْ العَدِيدَ مِنْ البنُوك، والشَّرِكَاتِ التِّجَارِيَّةِ والصِنَاعِيَّةِ، وَرَاحَت تَسْتَجدِي المُسَاعَدَة مِنْ الدُّوَل الْفَقِيرَةِ أَوْ الْمُتَخَلِّفة. وَهَذَا مَا يُؤكدُ أَنَّ الْعَوْلَمَةِ حَملت عَوَامِلَ فَنَائِهَا مِنْ يَوْم وَلادَتهَا ، فَلَمْ تَدَمِّر نَفْسَهَا فَحَسْب، بَلْ دَمَرتْ كُلَّ مَرَاكِز الشَّرِّ فِي العَالَمِ[2]. وَهَذَا لا يَعْنَي أَنَّ الْعَوْلَمَةَ اسْتَسْلَمت، أو إِنَّها غَيَّرْت مِنْ طَبِيعَة عَمِلها، بَلْ إِنَّها تَضَرَّرت اقْتِصَادِيًّا وَماليًا، مَعَ احْتفَاظِهَا بِكُلّ اهدَافهَا الْمُعَادِيَة لْخُصُوصِيَّةِ جَمِيعِ شُعُوب العَالَم. وَإِنْ مُؤَسَّساتهَا الرَسْمِيَّة لا تَزَالُ قَائِمَةً وَنَيشِيطَةَ، وَإِنَّها سَتعِيدُ بِنَاءَ قُوَّتِهَا لتُوَاصلَ عَمَلَهَا.

---

[1] يُرَاجَعْ عَنِ الْأَزْمَةِ العَالَمِيَّةِ الَّتِي تَأثر بِهَا النِّظَامُ الرَاسمَالي مُنْذُ نِهَايَة عَام٢٠٠٨ :

Stephen Mihm, Nouriel Roubini, Crisis Economic, The Pengune Press, 2010, p.24.

Robert J, Shiller, How Today`s Global Financial Crisis Happened, and What Do About it.Association of American Publishe, 2009, p. 29.□

[2] فِي اوَاخرِ عَام ٢٠٠٨ وعام ٢٠٠٩، حَصَلت أَزِمَّة مَالِيَّة عَالَمِيَّة كَانَ بدأت بِبنُوك العقَارَات الْأَمْرِيكِيَّة وَشَمَلْت جَمِيع الدُّوَل الْغَرْبِيَّة ثُمَّ امْتَدَّت إِلَى العَدِيد مِنْ دُوَل العَالَم، وَكَادت هَذِهِ الْأَزْمَة أَنْ تَقضي عَلَى النِّظَام الرَّأْسِمَالِيّ برمَته.

المبحث الثاني

تحدي العولمة للهوية العربية

التحدي هو ذلك الوضع، الذي يمثل وجوده، تهديداً، أو إضعافاً، أو تشويهاً، كلياً أو جزئياً، دائماً أكان أم مؤقتاً، لوجود وضع آخر، يراد له الثبات والقوة والاستمرار. وإذا نظر إلى التحدي باعتباره تحدياً قومياً، فإنه يمثل تهديداً أو خطراً أو إضعافاً أو تشويهاً، لوضع شعب أو لجماعة قومية معينة، فيصح أن يطلق عليه لهذا السبب " التحدي القومي ". أو الشعور القومي لجماعة ما، أو أمة ما، في فترة زمنية معينة، وموقع مكاني معين. " فتحديات الهوية القومية " في هذا العنوان، تعني مجموعة الأوضاع والأنماط الفكرية والتطبيقية والسلوكية والحياتية، التي تهدد مثيلاتها في الأمة العربية[1].

وتتجسد تحديات العولمة للهوية العربية بالشكل الآتي:

١- إن العولمة تؤدي إلى تعميم الثقافة الأمريكية على العالم[2]. ويحاول بعض الكتاب الأمريكيين الإيحاء إلى أن ثمة عوامل سلبية في الثقافات للدول الأخرى بوصفها ثقافة النخبة أو الصفوة. وهي ثقافات مكبلة بالقيود وذات توجهات دينية، وتستخدم لغة لا تفهمها غير فئة قليلة من الصفوة، أو من رجال الدين ومن ثم فهي لا تلبي احتياجات الإنسان المعاصر. وتأتي الثقافة الأمريكية، بوصفها ثقافة لها القدرة والتأثير مثلما هو الحال في حرية التجارة العالمية الاقتصادية التي

---

[1] حرية التجارة العالمية والثقافة بحث منشور على الانترنيت لم يذكر اسم الناشر. موقع (العولمة)

[2] يراجع:

Jan Nederveen, Globalization Cultuer, Global Melange, Roman and Littefield Publisher, 2009,p.16.

اسْتَطاعَتْ تَحْطيمَ الحَواجزَ الجُغْرافيَّةَ بَيْنَ المُجْتَمَعاتِ الإنْسانيَّةِ. وبسَبَب تَطَوُّر التَقانَة مِمَّا ساعَدَ عَلَى انْتِشارِها[1].

٢- تَعْتَقِدُ الوِلاياتُ المُتَّحِدَةُ الأَمْريكيَّةُ أنَّ أسْبابَ المُنازَعاتِ الدُوَليَّةِ بَيْنَ الدُوَل والحُرُوبِ الأَهْليَّة تَرْجِعُ أساسًا إلَى أسْبابٍ دِينيَّةٍ واقْتِصاديَّةٍ وثَقافيَّةٍ وقَوْميَّةٍ وعرقيةٍ. فاخْتِلافُ الشُعُوبِ في هَذِهِ الأُمُور كانَتْ ولاَ زالَتْ وَراءُ الكَوارِثِ الَّتي حَلَّتْ بالبَشَريَّة. ويأتي دَوْرُ العَوْلَمَة في هَذِهِ المَرْحَلَة التَّاريخيَّة لصياغة نِظام سياسي عالَمي[2]. فالتَّمَسُّكُ بالدِّينِ كانَ وَراءَ الحَرْبِ الهِنْديَّةِ الباكسْتانيَّةِ وبَيْنَ إذْرِبيجَان وأرمينيا والبُوسْنَةِ والهرسْكِ ومُشْكِلَةِ كُوسُوفُو والحَرْبِ الأَهْليَّة، وفي لُبْنان والسُّودانَ والجَزائِرَ، ومُشْكِلَةِ الأقباطِ في مِصْرِ. والتَّمَسُّكُ بالقَوْميَّة كانَتْ وَراءَ الحَرْبِ بَيْنَ العَرَبِ واليَهُودِ، والحَرْبِ بَيْنَ العِراقِ وإيرانَ، والحَرْبِ الأَهْليَّةِ في تُرْكيا والصُومالِ وأفغانِسْتانَ، ومُشْكِلَةِ الشَّبتِ في الصِّينِ، والحربِ بَيْنَ الطُوائِفِ المُتصارِعَةِ في العِراقِ بَعْدَ احْتِلاله عام ٢٠٠٣. تِلْكَ الحُرُوب كانَتْ وراء العامل القَوْميّ أو الدِّينيّ.

٣- عَمِلَ النِّظامُ العالَميُّ الجَديدُ عَلَى الفَصْلِ بَيْنَ القَوْميَّةِ والدِّين، واحتَضَنَ عَدَداً مِنْ الحَرَكاتِ الدِّينيَّةِ المُتَطَرِّفَةِ لتَغْذِيَةِ الصِّراعِ بَيْنَ الحَرَكاتِ القَوْميَّةِ والدِّينيَّةِ، وبَعْدَها عَمِلَ عَلَى تَشْويهِ الإسْلامِ عَنْ طَريقِ الحَرْبِ العَلَنيَّة ضِدّ الدِّينِ، ونَشْرَ صُوَرَ مُخِلَّةً بالرُّمُوزِ الدِّينيَّةِ. وكانَ الدِّينُ الإسْلامِيُّ والوَطَنُ العَرَبِيُّ مَسْرَحاً لِهَذا الصِّراع.

٤- تَعْمَلُ العَوْلَمَةُ عَلَى صِياغَةِ ثَقافاتٍ وقِيمٍ ومُعْتَقَداتٍ عامَّةٍ، عَلَى وَفْقِ مَعاييرِ أحاديَّةٍ صرفَةٍ. وإنْ الثَقافَةَ الأَمْريكيَّةَ، تَجاوَزَت الحُدُودَ في التَّعامُلِ مَعَ الثَقافاتِ والحَضاراتِ

---

[1] عَبْد المُنعم السيد عَليّ، مَصْدر سَابق، ص٦٤.

[2] يُرَاجَع:

John Baylis, The Globalization of World Politics Oxfrd University Press, 2008, p. 23.

وَالْعَقَائِدِ وَالأَفكَارِ الْمُغَايِرَةِ[١][٢]، وَدَخَلَتْ مَنَاطِق مَحْظُورَةً وَحَسَاسَةً، لتَجَاهُلِهَا التَّرْكِيبَ النَّفْسِيَّ وَالْوِجْدَانِيَّ وَالْمَعْنَوِيَّ لِلْأَفْرَادِ وَالْجَمَاعَاتِ وَالشُّعُوب، وَإِسْقَاطِهَا لعَوَامِلِ التَّرَاكُمِ الثَّقَافِيِّ الْمُبَلْور لشَخْصِيَّاتِ الشُّعُوبِ وَالأُمَم ، خِلَال مِئَات السِّنِينَ. وَالنَّتَائِجُ الْمُتَرَتِّبَةَ عَلَى مَثَلِ هَذَا التَّدَخُّل تَأْتِي دَائِمًا بِنَتَائِج عَكسِيَّةٍ، وَتَزِيدُ مِنْ كَرَاهِيَةِ الشُّعُوبِ للسِّيَاسَةِ الْأَمْرِيكِيَّةِ[٣].

٥- تَدمجُ الْعَوْلَمَةِ العَامِلَ الِاقْتِصَادِيَّ بالعُوَامِلِ الأُخْرَى السِّيَاسِيَّة وَالْقَوْمِيَّة وَالاجْتِمَاعِيَّة فِي الْوِلَايَاتِ الْمُتَّحِدَةِ الْأَمْرِيكِيَّةِ وفِي دُوَلِ أُورُبَّا[٤]. وتسعى الْعَوْلَمَة إِلَى خلق مُجْتَمَع عَالَمِيّ متجانس مَعَ اقْتِصَادِ السُّوق[٥]، فِي حِين إِنَّها تَعْمَلُ بالنِّسْبَةِ للْمُجْتَمِعَاتِ الأُخْرَى، وَخَاصَّةً العَرَبِيَّةَ مِنْهَا إِلَى الْمَزِيدِ مِنْ التَّفَكُّكِ وَالتَشَرْذُمِ بَيْنَ هَذِهِ العَوَامِل. فآثَار العِلاَقَاتِ الِاقْتِصَادِيَّةِ الَّتِي تَفْرِضهَا الْعَوْلَمَةِ فِي الْمُجْتَمَعِ العَرَبِيِّ بِصُورَةٍ خَاصَّةٍ لَيْسَتْ آحَادِيَّةً إِنَّمَا هِيَ مُتَنَاقِضَةٌ[٦].

---

(١)

[2] Morris Berman, The Twilight of American Culture, Norton & Company, 2002, p.25.

[٣] مُحَمَّد عَبْد الحَكم دِيَاب، تَكتل مَا بَعْدَ حُرِّيَّة التِّجَارَة العَالَمِيَّة بَيْنَ النَظرة الْعَمَلِيَّة والنَظرة التَقلِيدِية. الانْتَرنِيت الموقع (الْعَوْلَمَة)

[٤] يُرَاجَع:

Dani Rodrik, Globalization and Intuitions, and Economic Growth USA, 2008, p. 27.

[5]Frank J. Lechenr, Globalization The Ma:ining of World Society, Wiley-Blakwell, 2009, p. 25.

[٦] غَسَان سَلامَة، الثَّقَافَة وَمَرَاة الْغَرْب: الإشكَالِية ومعَابر التَغيير، مَجَلَّة الْمُسْتَقْبَل العَرَبِيّ، الْعَدَد (٢٧٩) مَايس /٢٠٠٢ بَيْرُوت، ص ٢٣.

٦- تَعمَلُ الوِلَايَاتُ المُتَّحِدَةُ الأَمْرِيكِيَّةُ عَلَى تَشكِيلِ النُّخْبِ السِّيَاسِيَّةِ فِي الوَطَنِ العَرَبِيِّ، وَبِخَاصَّةٍ مِنَ الأَقَلِّيَّاتِ، بِشَكْلٍ يُفْسِحُ المَجَالَ أَمَامَ تَوْثِيقِ ارْتِبَاطِ الاِقْتِصَادِ وَالسِّيَاسَةِ العَرَبِيَّةِ بِالوِلَايَاتِ المُتَّحِدَةِ الأَمْرِيكِيَّةِ. وَلِكَي تَتِمَّ إِعَادَةُ تَشكِيلِ النُّخْبِ لَابُدَّ مِنْ نَشْرِ ثَقَافَةٍ سِيَاسِيَّةٍ بَدِيلَةٍ تَقُومُ عَلَى تَمجِيدِ قِيَمِ اقْتِصَادِ السُّوقِ وَالحُرِّيَّةِ السِّيَاسِيَّةِ وَالمُجْتَمَعِ المَدَنِيِّ. وَقَدْ أَدرَكَت الوِلَايَاتُ المُتَّحِدَةُ بَعْدَ التَّحَوُّلَاتِ فِي إِيرَانَ أَنَّ النُّخْبَ السِّيَاسِيَّةَ المُغلقة تُؤَدِّي عَلَى المَدَى البَعِيدِ إِلَى احتِقَانٍ سِيَاسِيٍ وَلَا سِيَّمَا مَعَ اتِّسَاعِ قَاعِدَةِ التَّعْلِيمِ وَتَزَايُدِ التَكنُوقَرَاطِيِينَ فِي المُجْتَمَعِ العَرَبِيِّ المُعَاصِرِ، وَسَعِي النُّخْبِ الجَدِيدَةِ إِلَى المُشَارَكَةِ فِي الحَيَاةِ السِّيَاسِيَّةِ وَلَا سِيَّمَا أَنَّ نِسبَةً مُهِمَّةً مِنْ عَنَاصِرِ النُّخْبَةِ الصَّاعِدَةِ هُم مِنْ خَرِيجِي الجَامِعَاتِ الغَرْبِيَّةِ. وَقَدْ بَلَغَ عَدَدُ الطُّلَّابِ العَرَبِ فِي الجَامِعَاتِ الأَمْرِيكِيَّةِ خِلَالَ العَامِ الدِرَاسِي ١٩٩٨/١٩٩٧ مَا مَجْمُوعُهُ (٣٠٩٦٢) طَالِبًا. وَلِكَي لَا تَحْدُثَ المُفَاجَأَة كَمَا يَجرِي فِي الوَطَنِ العَرَبِيِّ أَوْ أَفْرِيقيَا أَوْ أَمْرِيكَا اللَاتِينِيَّة، فَلَابُدَ مِنْ تَسرِيبِ نُخَبٍ مُعَيَّنَةٍ ذَاتَ تَوَجُّهَاتٍ مُعَيَّنَةٍ قَرِيبَةٍ مِنَ القِيَمِ السِّيَاسِيَّةِ الأَمْرِيكِيَّةِ إِلَى الوَطَنِ العَرَبِيِّ، بِشَكْلٍ يَحُولُ دُونَ الاحتِقَانِ مِنْ نَاحِيَةٍ وَيَتَبَنَى المَشْرُوعَ الأَمرِيكِيَّ مِنْ نَاحِيَةٍ ثَانِيَةٍ. وَمِنْ خَلَالِ تَعمِيمِ هَذِهِ الثَقَافَةِ عَبْرَ مَرَاكِزِ الدِرَاسَاتِ الَّتِي تَمُولُهَا الوِلَايَاتُ المُتَّحِدَةُ يَتَحَوَّلُ المَشْرُوعَ مِنْ مُسْتَوَى تَبَنِي النُّخْبَةِ الصَّاعِدَة إِلَى إِيجَادِ قَوَاعِدَ ارتِكَازٍ اجْتِمَاعِيَّةٍ دَاخِلَ المُجْتَمَعِ تُسَانِدُ هَذِهِ النُّخْبَةَ فِي عَمَلِيَةِ الاقتِرَاعِ. وَتَعْمَلُ الوِلَايَاتُ المُتَّحِدَةُ الأَمْرِيكِيَّةُ عَلَى تَنْفِيذِ سِيَاسَتِهَا هَذِهِ عَنْ طَرِيقِ العَدِيدِ مِنَ المُؤَسَّسَاتِ الَّتِي أُنْشِئَتْ لِهَذَا الغَرَضِ[1].

فَعِنْدَمَا تَمَكَّنَتْ الوِلَايَاتُ المُتَّحِدَةُ الأَمْرِيكِيَّةُ مِنْ إِسقَاطِ نِظَامِ طَالِبَانَ فِي أَفغَانِستَانَ عَامَ ٢٠٠٢ قَامَتْ بِتَعْيِينِ أَعْضَاءِ حُكُومَةٍ جَدِيدَةٍ كَانَ مِنْ بَيْنِهِمْ (١٤) أَفغَانِيًا مِمَن يَحْمِلُونَ الجِنْسِيَّاتِ الأَمْرِيكِيَّةِ وَالأُورُبِّيَّةِ. وَبَعْدَ احْتِلَالِ العِرَاقِ عَامَ ٢٠٠٣، فَإِنَّ الوِلَايَاتَ المُتَّحِدَةَ الأَمْرِيكِيَّةَ اعْتَمَدَتْ عَلَى النُّخَبِ العِرَاقِيَّةِ المُتَجَنِسَةِ بِالجِنْسِيَّةِ الأَمْرِيكِيَّةِ

---

[1] وَلِيدُ عَبْد الحَي، عَلَاقَة السِّيَاسَة الخَارِجِيَّة الأَمْرِيكِيَّة بِالتَحَوُلات الدِّيمُقْرَاطِيَّة فِي الوَطَن العَرَبِيّ. مَجَلَّة المُسْتَقْبَل العَرَبِيّ، العَدَدُ (٢٦٧) مَايس ٢٠٠١ بَيْرُوت ص ١٥.

لإدارة الحكم في العراق. وعلى الرغم من فشل هذه التجربة، فقد استعانت بالنخب المعارضة لسياسيتها لعلها تلتقي معها لمواجهة المقاومة المتصاعدة ضدها.

٧- تنظر العولمة إلى الثقافة بكونها وسيلة لتطبيق مبادئها وأهدافها. فقد مزجت بين الثقافة والتجارة. وجعلت من الثقافة سلعة تجارية يمكن تبادلها ويطلق عليها بالثقافة ما بعد المكتوبة، لأنها تنتقل من ثقافة شفوية إلى سمعية بصرية من دون المرور بالثقافة المكتوبة [١]. ومن أجل غرس الثقافة الأمريكية في عقول الشباب العربي فقد فتحت الولايات المتحدة الأمريكية جامعاتها لاستقبال الطلبة العرب في الكليات المتصلة بالثقافات[٢]. وتعمل الجامعات الأمريكية على القضاء على الهوية العربية من خلال البرامج المعادية للشعور القومي.

٨- الضغط الشديد الذي يمارس لتغيير المناهج الدراسية والدينية والإعلامية والثقافية[٣]، وخاصة في الدول العربية والإسلامية، بدأ يخلق توتراً شديداً. لأنه يقوم على إفراغ الهوية الوطنية والقومية من محتواها، وإذا كانت ثقافة عصر العولمة، هي ثقافة عالم المؤسسات والشبكات العالمية، والشركات المتعددة الجنسية، وهي ثقافة اصطدمت بسلطان المجتمع والدولة، فإن عصر ما بعد العولمة يختصر الثقافات والأفكار والعقائد في منبع ومصدر واحد، والغاء الهوية

---

[١] جلال امين، حرية التجارة العالمية الهوية الثقافية والمجتمع التكنولوجي الحديث مجلة المستقبل العربي، السنة (٢١) آب ١٩٩٨ ص ٥٨.

[٢] قدمت حوالي ٥٠٠٠ منحة على المستوى العالمي خلال الفترة من الموضوعات الثقافية منح منها (٨٢٧) للطلبة العرب في الموضوعات الآتية: (٣٢٩ الإدارة والاقتصاد و ١١٦ الأحزاب السياسية و٧٤ التعليم و٧٠ القانون و٦٦ المرأة و٤٨ حقوق الإنسان و٤١ الانتخابات و٢١ السياسة العامة و١٧ حقوق العمل ١٦ تسوية المنازعات و١٤ البرلمان والشباب ١٢ و٢ ورشات عمل)

[3] Dani Rodrik, Globalization, Art and Education, Natrod Education Association, 2009 p. 15.

القَوْميَّةَ ولأن ذلِكَ مُسْتَحيلٌ ، فَسَوْفَ يُضيفُ إلى أسْبابِ التُوتّراتِ تُوتّراً جَديداً، ذا طابعٍ مَعْنَويّ وَرُوحي وَثَقافي، مَفروض بقُوَّةِ الدَّوْلَةِ الأَعْظَمِ وَإرْهابِها والخَوْفِ مِنْها.

٩- تَعْمَلُ الوِلاياتُ المُتَّحِدَةُ الأَمْريكيَّةُ مِنْ خلال العَوْلَمَةِ عَلى دعم الأَقَلِّيّاتِ في الوَطَنِ العَرَبيِّ. وَشَهِدَتْ هَذِهِ الأَقَلِّيّاتُ تَنامِيا نَحْو النَّزْعَةِ الانْفِصالِيَّةِ وَالتَكتل الجُغْرافِيِّ لِلدَّوْلَةِ القُطريَّةِ، أَوْ إلى تَفْكيكِ المُجْتَمَعِ السِّياسِيِّ. لِهَذا تَلْحَظ العِلاقَةَ المُتَنامِيَة بَيْنَ الحَرَكَةِ الكُرديَّةِ في شِمالِ العِراقِ وَالوِلاياتِ المُتَّحِدَةِ الأَمْريكيَّةِ، وَتَنامي النَشاطَ القِبْطِيِّ المِصْرِيِّ في الوِلاياتِ المُتَّحِدَةِ الأَمْريكيَّةِ، وَتَمْويلُ نَشاطاتِ بَعْضِ المُنَظَمّاتِ الجزائِريَةِ مِنْ قِبَلِ الصَندوقِ القَوْمِيِّ للدِّيمُقْراطِيَّةِ، وَدَعْم الانْفِصالِيين في السُّودانِ[1]، والعَمَلُ عَلى إذْكاءِ الصِّراعاتِ العِرْقِيَّة في الصُومالِ.

١٠- يَطْرَحُ أَنْصارُ العَوْلَمَةِ أَفْكاراً بَرّاقَةً تُلاقي رَواجاً وَقَبُولاً عِنْدَ الجَميعِ. فَهُمْ عِنْدَما يَطْرَحُونَ حُقُوقَ الإنْسانَ وَالدِّيمُقْراطِيَّةَ وَالثَقافَةَ الحَديثَةَ وَالتَّخَلُّصَ مِنَ التَّعَصُّبِ الدِّينِيِّ، أَوْ القَوْمِيِّ، أَوْ العِرْقِيِّ، فَإنْ مِثْلَ هَذِهِ الأَفْكار تَبْدُو لِمَنْ يُسَمِيهَا مَقْبُولَة جدا. وَأَصْبَحَ عَلى الإنْسان أَنَّ يَقْبَلَ نَوعِيَّةً مِنَ السِّلَعِ وَالخِدْماتِ وَالابْتِكاراتِ وَهَذا مِمَّا يَدُلُّ عَلى أَ هَذِهِ الحالَةَ الخاصَّةَ، أَوْ النَمَط الجَديد مِنَ العِلاقاتِ الإنْسانيَّةِ تُفْرَضُ عَلى الآخرينَ، وَيَتمُ تَنْميقُ وَتَزيينُ هَذا النَمَط الَّذي يَسُوقُ إلى العالَم كُلِّهُ. وَإذا اقْتَنَعْنا بِذلِكَ فَإنَّ صُورَةِ العِلاقاتِ الجَديدَةِ الَّتي يُقَدمها الغَرْبُ ذاتَ مَظاهِرَ بَرّاقَةٍ مِنْ أَجْلِ جَذبِ إذْواقِ المُسْتَهلِك العَرَبي[2].

١١- إنَّ العَوْلَمَةَ لا تَخْصُ انْتِقال السِّلَعِ وَفَتحَ الأسْواقِ الدُوَلِيَّةِ أَمامَ البَضائِعَ فَحَسْبْ بَلْ إنَّها تَشْمَل الخِدْماتَ وَانْتِقالَ الأَيْدي العامِلَةَ. كَما أَنَّ انْتِقالَ البَضائِعَ للأَسْواقِ العالَمِيَّةِ تَتَطَّبُ انْتِقالَ مُمَثِلي الشَّرِكاتِ العالَمِيَّةِ للدُّوَلِ الَّتي تتواجد فِيها بضائعهم. وَهَذا يَعْنِي يوجب فتح الحُدُود لانتقال الأَشْخاص بحُرِّيَّةٍ تامَّةٍ. وَمِمَّا

---

[1] وَليد عَبْد الحي، مَصْدر سَابق، ص٧٣.

[2] عَبْد الجَليل كَاظم وَالي، مَصْدر سَابق، ص٧٤.

يَتَرَتَّبُ عَلَى هَذِهِ الظَّاهِرَةِ مَا نُطْلِقُ عَلَيْهِ بَغْزُوِ التَّقَالِيدِ وَالْعَادَاتِ الْغَرْبِيَّةِ الْمَادِّيَّةِ بِمَا تَحْمِلُهُ مِنْ انْحطَاطٍ أخْلاقِيٍّ وَنَقْلِ أدرَانِهَا لِلمُجْتَمَعِ العَرَبِيِّ وَالتَّأْثِير عَلَى عَادَاتِهِ وَتَقَالِيدِهِ الدِّينِيَّةِ والْقَوْمِيَّة.

١٢- إنَّ فَتْحَ الْأَسْوَاقِ العَالَمِيَّةِ تَتَطَلَّبُ الحَاجَةَ إلَى عُمَلاءٍ مُحَلِّيين وَ وُسَطَاءٍ يَعْمَلُونَ عَلَى التَّرْوِيجِ لتِجَارَتِهِمْ. وَلاَ يَعْنِي ذَلِكَ تَزْوِيدَهمْ بالقدرات الْفَنِّيَّة والإطلاع عَلَى الْقُدْرَاتِ الْفَنِّيَّةِ، فَتِلْكَ الْأُمُورُ مَحْجُوبَةٌ عَنْهُمْ. وَإنَّمَا يَقْتَصِرُ دَورَهُمْ عَلَى التَّرْوِيجِ للسِّلَعِ والْخِدْمَاتِ[1]. وَيُؤَدِّي هَذَا الْعَامِلُ إلَى خَلَقِ مَجْمُوعةٍ كَبِيرَةٍ مِنْ العُمَلاءِ الَّذِينَ يَتَمَتَّعُونَ فِي مَعِيشَتِهِمْ عَلَى الشَّرِكَاتِ الْأَجْنَبِيَّةِ مِمَّا يَخْلُقُ فِيهِمْ حَالَةَ الاغْتِرَابِ السِّيَاسِيِّ. فالْمَوَاطِنُ العَرَبِيُّ يَعِيشُ فِي وَطَنِهِ وَلَكِنَّه يَعْمَلُ فِي عَقْلِيَّةِ الْأَجْنَبِيِّ فِي تَعَامُلِهِ مَعَ أَبْنَاءِ وَطَنِهِ.

١٣- كَانَ مِنْ نتائج الْعَوْلَمَةِ الأخذُ بنِظَامِ التَّعْلِيمِ التِجَارِيِّ. فَقَدْ انْتَشَرَت فِي العَدِيدِ مِنْ الدُّوَلِ العَرَبِيَّةِ الْمَدَارِسُ الخَاصَّةُ التِّجَارِيَّةُ الَّتِي تَسْعَى إلَى الرِّبْحِ. وَبِسَبَبِ القُيُودِ الَّتِي تَفْرِضهَا بَعْضُ الدُّوَلِ عَلَى الوَافِدِين تَوَسَّعت هَذِهِ الظَّاهِرَةُ وَانْتَشَرَت الْمَدَارِسُ التِّجَارِيَّةُ الَّتِي تُدَرِسُ المَنَاهِجَ غَيْرِ التَربُوِيَّةِ وَالْبَعِيدَةِ عَنِ الأَصَالَةِ الْقَوْمِيَّة. كَمَا أَنَّ بَعْضَ الْمَدَارِسُ تُدَرِّسُ باللُّغَاتِ الْأَجْنَبِيَّة، مِمَّا خَلَقَ نَوْعًا مِنْ التَعَدُّدِيَّةِ الثَقَافِيَّةِ دَاخِلَ الْمُجْتَمَعِ العَرَبِيِّ. وَقَدْ امْتَدَّت هَذِهِ الظَّاهِرَةُ فشَمَلَتْ الْجَامِعَاتَ الخَاصَّة. وَقَدْ سَمَحتْ العَدِيدُ مِنْ الدُّوَلِ العَرَبِيَّةِ لْمُؤَسَّساتٍ أَجْنَبِيَّةٍ الدُّخُولَ فِي هَذَا الْمَيَدَانِ وتُدَارُ بِالْأُسْلُوبِ الرِّبْحِيِّ الرَّأْسِمَالِيِّ السَّائِدِ فِي الْغَرْبِ. وَبِذَلِكَ دَخَلَ التَّعْلِيمُ فِي الْوَطَنِ العَرَبِيِّ فِي مِجَالِ التِّجَارَةِ الْقَائِمَةِ عَلَى الرِّبْحِ وَالْإِنْتَاجِ بِالْجُمْلَةِ[2]. وَهَذَا يَعْنِي أَنَّ خِرِيجِي هَذِهِ الْجَامِعَاتِ وَالْمُعَاهَدِ يَحْمِلُونَ أَفْكَاراً تَتَنَاقَضُ مَعَ الْهَوِيَّةِ العَرَبِيَّة.

---

[1] خَلدُونُ حَسْن النَقِيب، مَصْدرٌ سَابِقٌ، ص ١١٦.

[2] مَصْدر سَابِق، ص ١٢٠.

١٤- إنَّ تَخفِيضَ الإنْفَاقِ عَلَى التَّعْلِيم، أَوْ ارْتِفَاعِ تَكلفَتِهِ بِالنِّسْبَةِ لِلْجُمْهُورِ، أَوْ تَخَلِّي الدَّوْلَةِ عَنِ مَسُؤُولِيَاتِهَا فِي بَعْضِ الأَنْشِطَةِ التَّعْلِيمِيَّةِ كَمَا تُرُوجُ لَهُ الْعُولَمَة، فِي الْغَالِبِ مَا يُؤَدِّي إِلَى تَهمِيشِ القِطَاعَاتِ الْفَقِيرَةِ مِنْ تَحْقِيقِ احتِيَاجَاتِهَا التَّعْلِيمِيَّةِ ، وإلى اتِّسَاعِ التَّفَاوُتِ بَيْنَ الْجِنْسَيْنِ وَبَيْنَ سُكَّانِ الْحَضَرِ وَالرِيفِ[1]. فمُنْظِمَةُ التِّجَارَةِ العَالَمِيَّةُ تَفْرِضُ عَلَى الدُّوَلِ الْأَعْضَاءِ وَقْفَ الدَعْمِ لِجَمِيعِ القِطَاعَاتِ بِمَا فِيهَا قَطَاعُ التَّعْلِيمِ وَالصِّحَّةِ وَغَيْرِهَا.

١٥- قَلَّلَتْ الْعَوْلَمَةُ مِنْ فَاعِلِيَةِ الْأُمَّةِ العَرَبِيَّةِ فِي خِدْمَةِ قَضَايَاهَا الْوَطَنِيَّةِ وَالْقَوْمِيَّةِ وبِخَاصَّةٍ الْقَضِيَّةَ الفِلَسْطِينِيَّةَ وَعَدَمِ الْقُدْرَةِ عَلَى وَقْفِ الكِيَانِ الصَهْيُونِيِّ مِنْ تَنْفِيذِ أَطْمَاعِهِ التَّوسُّعِيَّةِ فِي الْأَرَاضِي العَرَبِيَّةِ، وَبِخَاصَّةٍ المُسْتُوطَنَاتِ وَتَهجِيرِ الْفِلَسْطِينِيِّينَ وَهَدمَ مَنَازِلِهِمْ وَقَتْلِهِمْ وَتَشرِيدَهِمْ، عَلَى الرَّغْمِ مِنْ (اتِّفَاقِيَّاتِ السَّلَامِ) مَعَ مُنْظِمَةِ التَّحْرِيرِ الفِلَسْطِينِيَّةِ، وَمَعَ عَدَدٍ مِنَ الدُّوَلِ العَرَبِيَّةِ واسْتِمْرَارُ احتِلَالِهِ لِلْجَنُوبِ اللُبْنَانِي عَلَى الرَّغْمِ مِنْ انْسِحَابِه فِي ٢٠٠٠/٥/٢٣ وَاحتفَاظِه بِجُزْءٍ مِنْهَا وَاحْتِلَاله هَضَبَةَ الجُوَلانَ واحْتِلَال الْجُزُرِ العَرَبِيَّةِ الثَّلَاث مِنْ قِبَلِ إِيرَانَ واسْتِمْرَار إِسبَانِيَا لاحْتِلَالِهَا سَبْتَة وَمِلِيلَة وَالْجُزُرِ الجعفَرِيَّة وَاسْتِمْرَار احْتِلَال الْعِرَاق وَمُحَاصَرَة السُّودَانَ وَاسْتِمْرَار التَّدَخُّل الأَجْنَبِيِّ فِي الصُومَال وَتَمْزِيقِهِ وَتَشْجِيعِ الِانْفِصَال وَدَعْمِهِ فِي السُّودَانِ وَالْعِرَاقِ وَجُزُرِ الْقَمَرِ وَتَشجِيعِ الْأَقَلِّيَّاتِ السَّاكِنَةِ فِي الْوَطَنِ العَرَبِيِّ عَلَى التَمرُدِ وَخَرقِ السِّيَادَةِ الْوَطَنِيَّةِ[2]. وَإِنَّ الدُّوَلَ العَرَبِيَّةَ غَيْر قَادِرَةٍ عَلَى مُقَاوَمَةِ ذَلِكَ لِخشِيتِهَا التَّعَرُّضِ لَحَصَارٍ اقْتِصَادِيٍّ وسِيَاسِيٍّ.

١٦- تَفْرِضُ الْعَوْلَمَةِ تَحَكُّمَ السُّوقِ، فِي الْجَامِعَات، وَمِنْ ثم فَقَدتْ الْجَامِعَات اسْتِقْلَالَهَا، بَلْ وَطَابَعَهَا المُمِيزُ كَمُؤَسَسَةٍ اجْتِمَاعِيَّةٍ. وَتَسُودُ مَعَايِيرُ الكَفَاءَةِ (مُقَوَمَةً مَالِياً

---

[1] آفاق الْمُسْتَقْبَل فِي ظِلِّ حُرِّيَّة التِّجَارَة العَالَمِيَّة وبرامج التَكيف الهيْكلي. الانترنيت الموقع (العولمة).

[2] مهَا ذِيَاب، تَهدِيدَاتُ الْعَوْلَمَة للوَطَنِ العَرَبِيِّ، مَجَلَّة الْمُسْتَقْبَلِ العَرَبِيِّ، العَدَدُ ٢٧٦ العَدد الثَّانِي بَيْرُوت ٢٠٠٢، ص١٦٠.

وَربحياً) محل المعرفة، وصعود الإداريين في مواجهة الأكاديميين، وتهميش المشاركة في اتخاذ القرار في مؤسسات التعليم العالي، واحتمال تدهور البحث الأساسي، إذ لا يترتب عليه هامش ربح مباشر للصناعة كما في حالة البحث التطبيقي والتقاني. ويتزامن كل هذا مع صعود دور وحدات قطاع الأعمال، خاصة عابرات الجنسيات، في التعليم المتخصص والتدريب المكثف داخل المنشأة، وأحياناً خارجها[1].

١٧- إنَّ دور الجامعات في الغرب ارتبط، قرابة قرن من الزمان، بسياق ثقافي متكامل (اجتماعي واقتصادي و سياسي) اكتمل بناؤه هناك، بمشاركة فاعلة من التعليم العالي وخلق هوية معينة تنسجم وذوق المجتمع الغربي. بينما لم يكتمل مثل هذا البناء الثقافي بعد في الدول العربية، ولم يسهم التعليم العالي في بناء الهوية القومية. وعليه يعبر الدور الجديد للتعليم العالي في الغرب عن استجابة لتغير جوهري في التنظيم الاجتماعي، يتمثل أساساً في العولمة، وسيادة أوسع للسوق كما تتبدى في الاقتصاد الرأسمالي الناضج.

١٨- ظهور فكر إقليمي جديد في الوطن العربي، يبدو في بعضه أنه تنظير للتشطير والشرذمة والتجزئة، يطلق عليه بالفكر المعتدل المعادي المتناقض للوطنية والفكر القومي العربي، يقفز فوق كل عوامل التقريب المتاحة للتكتل، وما يسمى بالفكر الإقليمي الجديد يعتمد على نظرة عملية، تتجاهل الروابط الطبيعة في الوطن العربي، وهي روابط لا يمكن التعرف عليها بمعزل عما يجري في العالم من تحولات، وما يطرأ عليه من مستجدات، خاصة بعد الحادي عشر من أيلول (سبتمبر) من عام ٢٠٠١ ، وهو تاريخ أنهى عصر "التسوية"، وأدخل العالم عصراً آخر، وهو عصر العمل العسكري، احتل العمل العسكري مكانة شبه مطلقة في إعادة

---

[1] الدكتور نادر فرحاني، مساهمة التعليم العالمي في التنمية العربية ، مركز المشكاة للبحث مصر ١٩٩٨. الانترنيت موقع (العولمة).

صِيَاغَةَ نِظَامِ الْهَيْمَنَةِ الْجَدِيدِ، وَتَشْكِيلُ الْعَالَمِ عَلَى أَسَاسِهِ، عَلَى وَفْقِ مُقْتَضِيَاتِ الأَمْنِ وَخَطَرِ الْإِرْهَابِ الَّتِي بَرَزَتْ بَعْدَ الْهُجُومِ عَلَى مَرْكَزِ التِّجَارَةِ الْعَالَمِيَّةِ فِي نِيُويُورْك، وَمَبْنَى وَزَارَةِ الدِّفَاعِ الْأَمْرِيكِيَّةِ (الْبَنْتَاغُونُ) فِي وَاشِنْطُنِ. وَسَادَتْ فِي الْعَالَمِ لُغَةُ التَّدْمِيرِ وَالْقَتْلِ[1]. وَمَا صَاحَبَهَا مِنْ تَقْسِيمٍ وَتَصْنِيفٍ بَيْنَ مُسْلِمِينَ خَيِّرِينَ وَمُسْلِمِينَ إِرْهَابِيِّينَ وَالْكُلُّ مُتَخَلِّفٌ، وَعَرَبٌ مَعَنَا وَعَرَبٌ ضِدَّنَا وَالْكُلُّ أَعْدَاء. وَعَدَ الفِلَسْطِينِيَّ إِرْهَابِي وَالصَهْيُونِيّ مُكَافِحٌ شَرِيف يُدَافِعُ عَنِ حَقٍّ. وَأَصْبَحَ الْكَلَامُ عَنِ الْقَوْمِيَّةِ وَالدِّينِ وَالتُّرَاثِ وَالتَّارِيخِ وَالْحَضَارَةِ الْعَرَبِيَّةِ الإِسْلَامِيَّةِ عَمَلاً مَحْظُوراً عَلَى الْمَوَاطِنِ وَالدَّوْلَةِ مَعَا. وَمَثَلُ هَذِهِ الفَرَضِيَاتِ وَالْمُسَمِّيَاتِ هَزَتْ الْهَوِيَّةَ الْقَوْمِيَّةَ وَتَفْرِيغَهَا مِنْ مُحْتَوَاهَا بِالتَّرْغِيبِ، أَوْ التَّرْهِيبِ.

وَيَعْتَمِدُ هَذَا النِّظَامُ الْجَدِيدُ عَلَى شَبَكَةٍ وَاسِعَةٍ وَقَوِيَةٍ، مِنْ الْقُوَى وَالتَّفَاعِلَاتِ السِّيَاسِيَّةِ وَالاجْتِمَاعِيَّةِ، وَالِاقْتِصَادِيَّةِ وَالتِّجَارِيَّةِ، وَالعِلْمِيَّةِ وَالتِّقْنِيَةِ وَالمَعْلُومَاتِيَّةِ، لِتَجَاوُزِ هَوِيَاتِ الأُمَمِ وَالشُّعُوبِ الأُخْرَى، وَمَحْوِ خُصُوصِيَاتِهَا الثَّقَافِيَّةِ وَالحَضَارِيَّةِ، مِنْ أَجْلِ أَنَّ يُمَهِّدَ الطَّرِيقَ، لِنَشْرِ هَوِيَتِهِ وَثَقَافَتِهِ النَسْبِيَّةِ الْقَائِمَةُ عَلَى عَدَمِ ثَبَاتِ الْهَوِيَّةِ الْقَوْمِيَّةِ، بِمَا فِيهَا الدِّينُ وَالأَخْلَاقُ، وَنَشْرِهَا فِي الْمُجْتَمَعَاتِ الأُخْرَى وَمِنْهَا الْمُجتَمَعَاتِ العَرَبِيَّةِ. وَمِمَا يُؤْلِمُنَا وَيَحْزُ فِي نُفُوسِنَا، أَنَّ الْوَطَنَ العَرَبِيَّ صَارَ مَسْرَحاً لِتَجَارِبِ الْعَوْلَمَةِ وَإِفْرَازَاتِهَا الْمُدَمِّرَة. فَكَانَتْ الدُّوَلَ العَرَبِيَّة أَولَ مَنْ تَعَرَضَتْ لِلحُرُوبِ وَالتَّجْزِئَةِ، وَسَاحَةً لِتَطْبِيقِ الدِّيمُقْرَاطِيَّةِ المَفْرُوضَةِ (دِمُقْرَاطِيَّةُ الدَبَابَةِ) وَالْفَوْضَى العَارِمَةُ (الفَوضَى الخَلاقَةُ). وَكَانَ الْوَطَنُ العَرَبِيُّ، أولَ مَنْ تَضرر مِنْ جَرَّاءِ الأَزمَةِ الْمَالِيَّةِ الَّتِي تَعَرَضَتْ لَهَا الْوِلَايَاتُ الْمُتَّحِدَةُ الأَمْرِيكِيَّةُ وَالدَّوْلُ الْغَرْبِيَّةُ. وَمِنْ ابْرزِ مَظَاهِرِ التَشطِيرِ والشَرذَمة فِي الْوَطَنِ العَرَبِيِّ تَقسِيم السُودَانَ عِبْر استفتَاء جَرَى عَام ٢٠١٠، وَبِإِشرَافِ أَمْرِيكِي واوربي وَالتَّهْدِيد باحَالَةَ الْمَسْؤولِيِّن إِلَى مَحْكَمَةِ الْجِنَايَاتِ الدُوَلِيَّة. وَمحَاولاتُ تَقسِيم الْعِرَاقِ واليَمنِ وَالجزَائِرِ وَمِصْر .

---

[1] مُحَمَّدُ عَبْد الحَكِم دِيَاب، تَكتل مَا بَعْدَ حُرِّيَّة التِّجَارَة العَالَمِيَّة بَيْنَ النَظرةِ الْعَمَلِيَّةِ والنَظرةِ التَقلِيدِيَّةِ. الانْتَرنِيت الموقع (الْعَوْلَمَة).

المبحث الثالث

دور الجامعة العربية في حماية الهوية العربية

المحافظة على الهوية القومية مسألة تهم الجميع، وهي مسؤولية تقع على عاتق المسؤولين والمربين والمثقفين والقوميين والوطنيين. ذلك أن التحدي الذي تواجهه الهوية العربية يعد من أخطر التحديات التي يشهدها التاريخ العربي. وهذا ما يتطلب شحذ الجهود والعمل المثمر على مواجهة العولمة بأساليب حضارية متطورة تتناسب أو تفوق ما تحمله العولمة من وسائل وأساليب. وينبغي العمل أولاً وقبل كل شيء على الحصانة المبدئية الشخصية للمواطن العربي بشكل يؤمن عدم تأثره بالتيارات الفكرية والفلسفية التي تمس الهوية القومية. كما أن الضرورة تقتضي ترسيخ القيم العربية الإسلامية وإشاعتها وتسهيل سبل وصولها لكل مواطن واستخدام الأساليب الحديثة والعصرية في هذا الصدد.

وإذا ما فشل جيلنا المعاصر في عدم مواجهة التحديات التي تحملها العولمة ضد الهوية العربية فإن الأجيال المقبلة لن تكون قادرة على مواجهتها ويصبح الكلام عن الهوية العربية مسألة تاريخية. وهذا ما يتطلب من المؤسسات العربية من جميع الدول العربية وجامعة الدول العربية ومنظمة مجلس التعاون لدول الخليج العربية والاتحاد العربي المغاربي والمنظمات الثقافية والعلمية والإعلامية والأحزاب الوطنية والقومية، والمؤسسات الدينية، وكافة مؤسسات المجتمع المدني في جميع الدول العربية، بذل الجهود والعمل على إنقاذ هذا الجيل من إفرازات العولمة. وهو أمر يتطلب تعديل عمل المؤسسات السياسية والإعلامية والتعليمية بشكل يضمن تحصين المواطن من الانزلاق وراء الدعايات والأفكار الغربية التي تعمل على إلغاء هويتنا القومية ودينا الإسلامي. ونقترح مواجهة تحدي العولمة بأن تقوم الجامعة العربية بما يأتي:

١- تعمل العديد من الجامعات العربية على تدريس مواد على جميع طلبة الجامعة، وهو ما يطلق عليه بمتطلب جامعي. تفرض هذه المادة على جميع طلبة الجامعة

بشكلٍ إلزامي وعلى جميعِ التخصصاتِ الجامعيّةِ. وغالبًا ما تكونُ هذهِ المادّةُ عامّةً وغيرَ مؤثرةٍ. لهذا ينبغي أنْ تُدرَسَ مادّةٌ تهدفُ إلى تكريسِ الهويّةِ القوميّةِ للطالبِ العربيِّ، والمُحافظةَ على الخصوصيّةِ العربيّةِ، تُدرسُ فيها القيمُ والأخلاقُ العربيّةُ والإسلاميّةُ بشكلٍ حضاري مُستساغٍ للطلبةِ.

٢- على الرغمِ مِنْ أنَّ الأمّةَ العربيّةَ تمتدُّ على مساحةٍ واسعةٍ مِنَ الأرضِ في آسيا وأفريقيا، ولكنّها مع ذلكَ تمتلكُ النسيجَ الاجتماعيَّ الموحّدَ، أوْ المتقاربَ، والبُنيةَ الثقافيّةَ الموحّدةَ، وتشكّلُ زاداً قيّماً لمواجهةِ أخطارِ العولمةِ، وهوَ ما يفتقدُه الآخرونَ، وتُعدُّ أوروبّا خيرَ مثالٍ على هذا، فهيَ مؤلفةٌ مِنْ أممٍ مختلفةٍ، ولغاتٍ متعدّدةٍ، وشعوبٍ متنافرةٍ، وتاريخٍ متشابكٍ، ومعَ ذلكَ فهيَ تسعى إلى إيجادِ أوروبا واحدةٍ. إنَّ الاستفادةَ مِنْ رصيدِ الأمّةِ العربيّةِ لولوجِ عصرِ العولمةِ يقتضي أنْ تسعى الشعوبُ والقياداتُ إلى ترجمةِ حقيقةِ الأمّةِ الواحدةِ على أرضِ الواقعِ، ويقتضي تحصينَ الثوابتِ التي قامتْ عليها هذهِ الأمّةُ وأبرزُهما : الإسلامُ والعروبةُ، لذلكَ فإنْ قادةَ الفكرِ والباحثينَ والعلماءِ وذوي الرأيِ، مدعوّون أنْ يدعموا هذينِ الثابتَيْنِ، ويزيدوهما رسوخاً معَ الزمنِ، ومِنْ هنا فإنَّ كلَّ كاتبٍ أوْ باحثٍ أوْ ذي رأيٍ يقصدُ الإسلامَ أوْ العروبةَ بسوءٍ فقدْ نأى بنفسِهِ عنِ هذهِ الأمّةِ، وابتعدَ عنها[1]. ولا بدَّ مِنَ التركيزِ على فكِ الاشتباكِ والصراعِ بينَ القوميّةِ والدينِ الإسلاميِّ. فلمْ يشهدْ التاريخُ الإسلاميُّ صراعاً بينهما بلْ كانا متكاملانِ يعملانِ في اتّجاهٍ واحدٍ.

٣- لمّا كانتْ العلاقاتُ الإقتصاديّةُ الجديدةُ التي جاءتْ بها العولمةُ تشكلُ تحدّياً كبيراً للهويّةِ العربيّةِ فإنَّ مواجهةَ هذهِ الحملةِ تبدأُ بالذاتِ، بتركيزِ مقوماتِ الثقافةِ العربيّةِ والارتقاءِ بها وبالانفتاحِ الثقافيِّ. وهذا لا يعني أنْ نقفَ أمامَ وسائلِ نشرِ الثقافةِ الجديدةِ كالانترنيت وثورةِ المعلوماتِ وشبكةِ الاتصالاتِ ومِنْ الثورةِ

---

[1] العولمةُ الحقيقةُ والابعادُ. ورقةٌ مقدّمةٌ إلى مؤتمرِ كليةِ الشريعةِ في جامعةِ الكويتِ المنعقدِ ٢٠٠٠ حولَ العولمةِ.

العلمية والتقنية، بل يجب أن نسعى للمشاركة في هذه المجالات لا متخلفين فتحصر أنفسنا في زاوية التخلف والتحجر[١]. ونستفيد من هذه الوسائل لتحصين المجتمع، وترسيخ القيم التي تحملها الهوية العربية. والتركيز على أن الأقليات تعد جزء مهماً من الوطن العربي، ولها حقوقها المشروعة، وحق المشاركة والتعايش السلمي للجميع، وإلغاء فكرة الصراع والتصادم معها. وأن تعمل الجامعات العربية على تثقيف الجيل المعاصر والأجيال المقبلة بأنه ليست ثمة ثقافة عالمية واحدة بل ثقافات متعددة[٢]. فلكل مجتمع هويته الخاصة به. وإن المجتمع العربي يستمد هويته من التراث العربي الإسلامي والتي تصلح في الزمان والمكان. وهي ثقافة أصيلة قادرة على مواجهة كل الثقافات المستنبطة من الفكر المادي الربحي. وهذا لا يعني عدم الاستفادة من الثقافة الإنسانية العالمية. غير أن الأساس الذي يعتمد عليه هو الثقافة العربية الإسلامية. فلكل مجتمع ثقافته الخاصة به. وإن ثقافتنا قادرة على التطور والتقدم والتعايش مع ما هو جيد من ثقافات العالم الأصلية.

٤- هناك من يرى في العولمة بأنها واقع ومفروض علينا، ويتطلب الانغلاق الكامل تحت دعوى الحفاظ على الثقافة الوطنية، محاولة إقفال الأبواب والنوافذ والعيش في عزلة عالمية[٣]، على غرار النمط الذي تعيشه كوريا الشمالية، وهو نمط لا نرتضيه، وغير قابل للديمومة، أو الاستمرار. والبديل الثاني هو أن ندفع نحو الانفتاح ونعمل على تقوية رصيدنا الذاتي الاقتصادي والقومي، ولا نخرج إلى الساحة بعود ضعيف مترنح ينهار في مواجهة التيارات الدولية ولا يستطيع أن

---

[١] الدكتور عبد العزيز الدوري، الوحدة هدف اتسع نطاق تأييده ليشمل فئات من كل التيارات، حوار أجراه علي المحافظة، مجلة المستقبل العربي، العدد (٢٧٩) مايس ٢٠٠٢ بيروت ص١٠.

[٢] محمد عابد الجابري، العولمة والهوية الثقافية، العدد (٢٢٨) السنة العشرون شباط ١٩٩٨ بيروت ص ٤١.

[3] John Cavanagh, op. cit. p18.

يَتَعامَلَ مَعَها بالشَّكْلِ الَّذي يَحْفَظُ لنا شَخْصِيَّةً مُسْتَقِلَّةً، وَأَنْ نَقبَلَ الانفتاحَ وَنُواجَهَ التَّحَدِّيَاتِ بالعَمَلِ. وَفي الْوَقْتِ نَفْسِهِ نَقُومُ بِبِنَاءِ الْمُؤَسَّسَاتِ الْوَطَنِيَّةِ وَالْقَوْمِيَّةِ وَالْفِكْرِ الذَاتِي القَادِرِ عَلَى التَّعَامُلِ مَعَ مُعطيَاتِ الْعَصْرِ، وَالِاسْتِفَادَةُ مِنْ رِيَاحِ الْعَوْلَمَةِ وَالتَأثِيرِ فِيهَا، وَالأَخْذُ مِنْ مُكْتَسِبَاتِ الْمُنظَمَاتِ الْدُوَلِيَّةِ والإسهَامُ فِيهَا، وَنَكُونُ بِذَلِكَ قَدْ تَجَنَّبَا إضَاعَةَ الْوَقْتِ فِي طَرْحِ اللُومِ عَلَى المُخَطَطَاتِ الْأَجْنَبِيَّةِ وَالتِيَارَاتِ الْدُوَلِيَّةِ دُونَ أَنْ نَعمَلَ عَلَى تَصحِيحِ أمُورِنَا وَتَهيئَة أوضَاعِنَا لمتَطلبَاتِ الحياة بواقعها ومستجداتها[1]. وَإِنْ نستفيد بِشَكْلٍ كبير مِنْ تجربة انهيار الْمُؤَسَّسَاتِ الماليَّةِ الْغَرْبِيَّةِ، وَالتَثقِيفُ عَلَى أَنَّ الِاعْتِمَادَ عَلَى الْغَرْبِ يَعْنِي الارتبَاطُ بِسِلبِيَاتِهِ الْمُدَمِّرَةِ. لَقَدْ أَنْهَارَ النِّظَامُ المَالِيُّ لِلغَربِ بَدُونِ أَنَّ يُوَاجَه صِرَاعَا مُعَادِيَا مِنْ جِهَةٍ مُعَيَّنَةٍ، بَلْ أَنْهَارَ مِنْ داخله، وَكَانَ حَامِلاً لِعُوَامِلِ فَنَاءِهِ. وَهَذَا مَا يدل عَلَى فَشَلِ فِكْرَةِ الْعَوْلَمَةِ أَسَاسَاً.

٥- يَجِبُ عَلَى الدُّوَلِ العَرَبِيَّةِ أَنَّ تَدِيرَ بَعْنَايَةٍ فَائِقَةٍ وَبِمَزِيدٍ مِنْ الِاهْتِمَامِ بالشُّؤُونِ التَّعْلِيمِيَّةِ وَبَالذَاتِ التَّعْلِيمِ الْأَسَاسِيِّ وَمَحْوِ الأُمِيَّةِ، باعْتِبَارِهِمَا حُتُوقاً مَشْرُوعَةً لِكُلِّ فَرْدٍ، ذَكَراً، أَوْ أُنثَى. وَعَلَى الدَّوْلَةِ أيضاً أَنَّ تُوَجِهَ سِيَاسَةَ الِاقْتِصَادِ الكُلِي صَوْبَ تَحْقِيقَ الأَهْدَافَ التَّعْلِيمِيَّةَ المُعلنَةَ وَالمُعتَمَدَةُ مِنْ قَبْلِ دُوَلِ المِنْطَقَةِ وَالَّتِي لَهَا صِلةٌ مُبَاشَرَةٌ مَعَ أَهْدَافِ سِيَاسَاتِهَا السُكَانِيَّةِ والتَنْمَوِيَّةِ[2]. وَيَنْبَغِي عَدَمَ انْصِيَاعِ الدُّوَلِ العَرَبِيَّةِ لمطَالِبِ الْعَوْلَمَةِ بوَقْفِ دَعمِهَا لِلتَعلِيمِ فِي جَمِيعِ مَرَاحِلِهِ. فَعَلَى الدُّوَلِ العَرَبِيَّةِ أَنَّ تُمسِكَ مَسَأَلَةَ التَّعْلِيمَ بِيَدِهَا وَبِإِشْرَافِهَا وَإِنْ تَضَعَ المَنَاهِجَ التَّعْلِيمِيَّة مِنْ قِبَلِهَا، وَأَنْ تَرفُضَ الدَعْوَاتِ لِمَنْعِ الدَّوْلَةِ مِنْ التَّدَخُّلِ فِي التَّعْلِيمِ. وإِنْ تَعمَلَ التَخَصُّصَاتَ التَربوِيَّةَ فِي الْجَامِعَاتِ العَرَبِيَّةِ عَلَى ضَرُورَةِ إِصْلَاحِ الْأُسْرَةِ وَالِاهْتِمَام بِهَا وَإِنْ تُوَجَّهَ الدِرَاسَاتَ نَحْوَ هَذَا الاتِجَاهَ. فَالْأُسْرَةُ تُعَدُّ أَصْغَرَ مُكَّونِ جَمَاعِيٍّ

---

[1] عَبْد الله يحيى المُعَلمِي، مَصْدرٌ سَابِقٌ (الانْتَرنِيت)

[2] آفَاقُ الْمُسْتَقْبَلِ فِي ظِلِ حُرِّيَّةِ التِّجَارَةِ العَالَمِيَّةِ وَبِرَامِجِ التَكيف الهيكلي. الانْتَرنِت الموقع (الْعَوْلمة).

لِلمُجْتَمَعِ وَقُدْرَتَهَا بِالمُحَافَظَةِ عَلَى الْهَوِيَّةِ الْقَوْمِيَّةِ. وَ تُعَدُّ الْأُسْرَةُ هِيَ اللَّبِنَةَ الأَسَاسِيَّةُ لِبِنَاءِ المُجْتَمَعِ، تُؤثِرُ فِي مَسَارِهِ وَتُحدِدُ هَوِيتَهُ بِشَكْلٍ كَبِيرٍ، وَنَحنُ فِي الْوَطَنِ العَرَبِيِّ لَدِينَا بِالإِضَافَةِ إِلَى أَهَمِيَّةِ الْأُسْرَةِ وَدَوْرِهَا، لِمَا تَملكُهُ مِنْ مُعطِيَاتٍ هَامَةٍ، فَإِنَّهَا قَادِرَةٌ عَلَى مُواجَهَةِ تَحَدِّيَاتِ الْعُولَمَةِ. ويُمْكِنُ مِنْ خِلَالِ المُحَافَظَةِ عَلَى تَمَاسُكِ الْأُسْرَةِ وَاسْتِقْرَارِهَا، وَتَقْوِيَةُ التَرَابطِ بَيْنَ أَفْرَادِهَا وَالتَرَابطِ بَيْنَ الْأُسَرِ الأُخْرَى عَنِ طَرِيقِ النَّسَبِ وَالتَّزَاوجِ وَالجِيرَةِ مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى، نَتِيجَةَ تَوَجُّهِ الإِسْلَامُ لِمُعتَنِقِيهِ بِالمُحَافَظَةِ عَلَى الزَّوْجِيَّةِ وَالتُّوَادِدِ وَصِلَةِ الرَحِمِ وَحُسنُ الجِيرَةِ وَغَيرِهَا[1]. وَيَكْمُنُ ذَلِكَ عَنِ طَرِيقِ تَمَاسُكِ الْأُسْرَةِ، أَنَّ نُحَافَظَ عَلَى الْهَوِيَّةِ الْقَوْمِيَّةِ للْمَوَاطِنِ العَرَبِيِّ، خَاصَّةً وَإِنْ الأُسَرَ العَرَبِيَّةَ لا تَزَالُ تُحَافِظُ عَلَى مُقَوماتِهَا الخَاصَّةِ.

٦- يَجِبُ مُقَارَنَةُ ثَقَافَةِ الْعَوْلَمَةِ بِالثَقَافَةِ العَرَبِيَّةِ وَبِالهَوِيَةِ العَرَبِيَّةِ الخَاصَّةِ وَنُؤَكِّدُ عَلَى أَنَّ الْهَوِيَّةَ العَرَبِيَّةَ تَتَمِيزُ بِالخُصُوصِيَّةِ وَالانْتِظَامِ دَاخِلَ أُطُرٍ تَارِيخِيَّةٍ مُعَيَّنَةٍ، كَمَا تَتَمِيزُ بِالقُدْرَةِ عَلَى رَبطِ أَهلِهَا بِسِمَاتٍ وَجِدَانِيَّةٍ وَذِهْنِيَّةٍ مُشتَرَكَةٍ تَتَمَثلُ فِي الْقِيَمِ وَالذَاكِرَةِ الجَمَاعِيَّةِ وَالاحْسَاسِ الْمُشْتَرَكِ، بِهَوِيَّةٍ تَارِيخِيَّةٍ وَمَصِيرٍ وَاحِدٍ. وَنُؤَكِّدُ أَنَّ ثَقَافَةَ الْعَوْلَمَةِ لَيْسَ لَدِيهَا القُدْرَةُ عَلَى أَنْ تُوَلِّدَ لَدَى الأَفْرَادِ إِحسَاسًا مُشْتَرَكًا بِهَوِيَّةٍ تَارِيخِيَّةٍ أَوْ مَصِيرٍ مُشْتَرَكٍ وَيَنْظُرُ إِلَيْهَا عَلَى إِنَّهَا ثَقَافَةٌ لا تَحمِلُ ذَاكِرَةً جَمَاعِيَّةً كَمَا أَنَهَا تَتَسْمُ بِنَزعَةٍ تَوَسِعِيَّةٍ، وَأَنَهَا مُنقَطِعَةٌ عَنِ أَيْ مَاضٍ فَهِيَ فِي أَسَاسِهَا ثَقَافَةٌ لا تَارِيخِيَّةٌ[2]. وَيَنْبَغِي أَنْ تَعْمَلَ كُلِيَاتُ الْحُقُوقِ وَالسِّيَاسَةِ وَالشَّرِيعَةِ وَالتَّرْبِيَةِ وَالعُلُومِ النَفْسِيَّةِ، عَلَى تَعزِيزِ التَّضَامُنِ العَرَبِيِّ الإِسْلَامِيِّ، وَإِيجَادِ القَاعِدَةِ المَتِينَةِ للتَّعَاوُنِ بَيْنَ الدُّوَلِ العَرَبِيَّةِ فِي كُلِّ المَيَادِينَ. وَإِنَّ العَمَلَ عَلَى تَقْوِيَةِ

---

[1] أنور عز الدِّين حُرِّيَّة التِّجَارَة العَالَمِيَّة جدلية الْمُقَاوَمَة وبرامج الْمَهَامّ مَرْكَز ابحاث الدراسات مَجَلَّة الوَحْدَة كانون الثَّانِي ٢٠٠٢ الانترنيت الموقع (العولمة).

[2] د. عواطف عَبْد الرحمن الثَّقَافَة الْأَمْرِيكِيَّة تجتاح العَالَم الْمُعَاصِر بِمَا فِيهِ أُورُبَّا.

شبكة عنيزة اليوم ٢٠٠١ . ٢٠٠٢ co.CNN -2001 net.2002 onaizah

الوطنِ العربيِّ اقتصادياً وعلمياً وتقنياً وثقافياً وتربوياً، هيَ الوسيلةُ الأجدى والأنفعُ والأكثرُ تأثيراً للتغلبِ على الآثارِ السلبيةِ للعولمةِ التي تُهددُ الهويةَ القوميةَ العربيةَ وللاستفادةِ من آثارِها الايجابيةِ في الوقتِ نفسِهِ من خلالِ التكييفِ المنضبطِ معَ المناخِ الثقافيِّ والإعلاميِّ الذي تُشكلهُ تيارَاتُ العُولمةِ، والتعاملُ الواعي معَ مُستجداتِها ومُتغيراتِها وتأثيراتِها، والتحكمُ في الآثارِ السلبيةِ للعولمة، إذا بُذلتْ جهودٌ مُضاعفةٌ للخروجِ من مرحلةِ التخلفِ إلى مرحلةِ التقدمِ في المجالاتِ كلِها. والتعاملُ يجبُ أنْ يقومَ على أساسِ القوةِ الاقتصاديةِ، والاستقرارِ السياسيِّ والسلمِ الاجتماعيِّ والتقدمِ في مجالاتِ الحياةِ كلِّها، وترسيخِ قواعدِ العملِ العربيِّ الإسلاميِّ المُشتركِ، على مُستوياتهِ المُتعددةِ [1].

٧- ينبغي أنْ يعرفَ الجيلُ العربيُّ الحاليُّ أنَّ سببَ تزعمُ الولاياتِ المتحدةِ الأمريكيةِ للعالمِ ليسَ لأنَّها تملكُ تراثاً ثقافياً وفكرياً وعقائدياً جيداً، بلْ يعودُ إلى أنَّها أقوى دولةٍ في العالمِ عسكرياً واقتصادياً، لِما تملكهُ من ثروَاتٍ هائلةٍ، وإنَّها تُسيطرُ على مجلسِ الأمنِ الدوليِّ وهيَ التي تديرُ عمليةَ الصراعِ العربيِّ الصهيونيِّ، وتملكُ أكبرَ عُملةٍ نقديةٍ تُعدُّ المصدرَ الاحتياطيَ الأوَّلَ في العالمِ وتمتلكُ أكبرَ الشركاتِ العالميةِ، وتغزُو مُنتجاتُها جميعَ دُوَلِ العالمِ فضلًا عن ما نُتجهُ من وسائلِ إعلامٍ عالميةٍ وتملكُ العديدُ من العُلماءِ في حقولِ المعرفةِ المُختلفةِ [2].

وكانتْ بريطانيا تحتلُ هذا الموقعَ نفسَهُ في العالمِ أوْ أكثرَ من ذلكَ بكثيرٍ كما كانَ الحالُ نفسِه بالنسبةِ لأسبانيا، والدولةِ العُثمانيةِ. وعندما سقطتْ هذهِ الإمبراطوريات سقطتْ معَها فرضياتُها الأساسيةُ. ومن ذلكَ ينبغي الإيمان بأنَّ سيادةَ دولةٌ على العالمِ لا يعني أنَّ كلَّ ما في هذهِ الدولةِ أصبحَ يُمثلُ الحقيقةَ

---

[1] الدكتورُ عبدُ العزيزِ بنُ عثمانَ التويجري، المديرُ العامُ للمُنظمةِ الإسلاميةِ التربيةِ والعلومِ والثقافةِ، المغرب، رابطةُ العالمِ الإسلاميِّ. المؤتمرُ الإسلاميُّ العامُّ الرابعُ في الثامنِ من نيسان /ابريل ٢٠٠٢.

[2] عبدُ المُنعمِ السيدِ عليّ، مصدرٌ سابقٌ، ص٧٧.

المُطْلَقَةُ. وَإِنْ النَجَاحَ الَّذِي يَتَحَقَّقُ فِي الْمَجَالاتِ المَادِّيَّة لا يَعْنِي أَنَّ يَنسَابَ عَلَى الْمَجَالاتِ الأُخْرَى، وَيَشْمَلُ الْمَجَالاتِ الرُّوحِيَّةَ وَالدِّينِيَّةِ وَالْقَوْمِيَّةَ وَالثَقافِيَّةَ. وَحَتَّى الْمَجَالاتُ المَادِّيَّة الَّتِي حَقَقتْ فِيهَا الْوِلايَاتُ الْمُتَّحِدَةُ الْأَمْرِيكِيَّةُ، تَقَدماً كَبِيراً، لا يُمْكِنُ أَنَّ تَكُون مِثَالاً عَامًّا يَنْطَبِق فِي كُلّ زَمَان وَمَكَان. فَقَدْ قَامَتْ عَلَى أَسَاسِ الهِجْرَة، وَقَتْل السُّكَّانَ الْأَصْلِيِّينَ وَسَلب أَمْوَالِهِمْ وَاعْتَمَادِ الْمُنَافَسْةِ الْحُرَّةَ وَمَا تَتَضَمَّنُهُ مِنْ تَدْمِير وَقَتْل والعَمَل الإجرَامِي . كُلُّ هَذِهِ المُمَارَسَاتِ غَيْر الْإِنْسَانِيَّةِ يَنْبَغِي أَنَّ تَكُونَ أَمثلة تَصْلحُ لِكُلِّ مُجتَمَعٍ لَهُ مُقُومَاتُهُ الخَاصَّةِ.

٨- أَنْ تَعْمَلَ الْمُؤَسَّسَاتُ وَالمَرَاكِزُ العِلْمِيَّةُ فِي الْجَامِعَاتِ العَرَبِيَّةِ عَلَى تَوظِيفِ اسْتِخْدَامَ البَحْثَ العِلْمِيِّ كَوَسِيلةِ لتَرصِينِ الْهَوِيَّةِ الْقَوْمِيَّةِ فِي الْجَامِعَاتِ العَرَبِيَّةِ. وَيُمْكِنُ لِلبَحْثِ العِلْمِيِّ فِي تَلبِيَةِ الاحتِيَاجَاتِ الَّتِي تَتَطلبَهَا الْمَسَائِلُ الْقَوْمِيَّةُ وَالِاسْتِجَابَة لِلمُتَطلبَاتِ الَّتِي رَافَقتْ دُخُولَ التَّكْنُولُوجِيَا المُعاصِرةِ فِي البُنَى الأَسَاسِيَّةِ لتَنظِيمِ الحَصَانَةِ الْوَطَنِيَّةِ ضِدّ الأَفْكَارَ الْمُتَعَارِضَةَ وَقِيمِ الْمُجْتَمَعِ فِي الْوَقْتِ الَّذِي وَلَدَتْ تِيَارَاتٌ جَدِيدَةٌ. وَأَصْبَح الْمُجْتَمَعُ الْمُعَاصِرُ أَكْثَرَ حَسَاسِيَةً مِنْ قَبْلِ بِفَضْلِ اعْتِمَادِهِ عَلَى نُظُمِ الْمَعْلُومَاتِ وَالِاتِّصَالاتِ المتَطَوِّرةِ. وَقَدْ وَلَدَتْ التَّحَدِّيَّاتُ الَّتِي رَافَقَتْ قِيَامَ نِظَامٍ دَوْلِيٍّ جَدِيدٍ يَخْتَلِفُ فِي مَضَامِينِهِ. مِمَّا فَرْضُ عَلَى البَاحِثِينَ فِي الْجَامِعَاتِ فِي دُوَلِ العَالَمِ، مَسْؤولِيَّةٌ جَدِيدَةٌ فِي تَحصِينِ الْمُجْتَمَعِ فِي الْمَجَالاتِ الْمُخْتَلِفَةِ[1]. وَمِنْ هَذَا تَطْلُبُ دَعْوَةُ البَاحِثِينَ فِي الْجَامِعَاتِ العَرَبِيَّةِ المُسَاهَمَةِ، فِي دِرَاسَةِ التَّحَدِّيَّاتِ الَّتِي تُهَدِّدُ الْهَوِيَّةَ الْقَوْمِيَّةَ وَدَرَاسَتَهَا، وَالبَحْثُ فِي الوَسَائِلِ الَّتِي تَضْمَنُ تَحصِينَ الْمَوَاطِنِ العَرَبِيِّ. وِلا بُدَّ مِنْ تَفعِيلِ مِيثَاقِ الوَحْدَةِ الثَقافِيَّةِ العَرَبِيَّةِ[2]، الَّذِي يَهْدَفُ إِلَى تَنشِئَةِ جِيلٍ عَرَبِيٍّ وَاعٍ وَمُسْتَنِيرٍ، مُؤمِنٍ بِاللهِ وَمُخْلِصٍ لِلوطَنِ، يَثِقُ بِنَفْسِهِ وَأَمتِهِ، وَيُدرِكُ

---

[1] Nicolas Spyrellis, National Defense and Scientific Research,Pacis Defense Analyses, Institute Review, Athens, Greece, 1999.p.78.

[2] وافق على المِيثَاق مؤتمر وزراء التَّرْبِيَة وَالتَّعْلِيم ببَغْدَاد فِي ٢٩ فبراير/شباط ١٩٦٤. ووافق مَجْلِس جَامِعَة الدُّوَل العَرَبِيَّة على المِيثَاق والمُنَظَمَةِ بتاريخ ١٩٦٤/٦/٢٨.

وَيَفْهَمُ رِسَالَةَ الْقَوْمِيَّةِ وَالْإِنْسَانِيَّةِ، وَيَتَمَسَّكُ بِمَبَادِئِ الْحَقِّ وَالْخَيْرِ، وَيَسْتَهْدِفُ الْمُثُلَ الْعُلْيَا الْإِنْسَانِيَّةِ فِي السُّلُوكِ الْفَرْدِيِّ وَالْجَمَاعِيِّ. مُسَلَّحِينَ بِالْعِلْمِ وَالْخُلُقِ كَيْ يُسْهِمُوا فِي تَطْوِيرِ الْمُجْتَمَعِ الْعَرَبِيِّ وَالسَّيْرِ بِهِ قُدُمًا فِي مَجَالِ التَّطَوُّرِ وَالرُّقِيِّ وَفِي تَثْبِيتِ مَكَانَةِ الْأُمَّةِ الْعَرَبِيَّةِ الْمَجِيدَةِ وَتَأْمِينِ حَقِّهَا فِي الْحُرِّيَّةِ وَالْأَمْنِ وَالْحَيَاةِ الْكَرِيمَةِ. وَأَوْجَبَ الْمِيثَاقُ أَنْ تَعْمَلَ الدُّوَلُ الْعَرَبِيَّةُ عَلَى تَعْيِينِ أَهْدَافِ التَّرْبِيَةِ فِي جَمِيعِ مَرَاحِلِ الدِّرَاسَةِ وَأَبْرَزَهَا فِي مَجَالِ الْعَمَلِ وَالتَّنْفِيذِ بِمَا يُحَقِّقُ مَا تَعْقِدُهُ الْأُمَّةُ الْعَرَبِيَّةُ فِي تَرْبِيَةِ شَبَابِهَا مِنْ آمَالٍ[1].

الْخَاتِمَةُ

[1] الْمَادَّةُ الْأُولَى مِنْ مِيثَاقِ الْوَحْدَةِ الثَّقَافِيَّةِ الْعَرَبِيَّةِ.

إنَّ أهَمَ مَا يُواجِهُ الْأُمَّةَ العَرَبِيَّةَ فِي الْوَقْتِ الحَاضِرِ، هُوَ مَا تواجِهُهُ هَوِيَتُهَا الْقَوْمِيَّةُ مِنْ تَحَدٍّ كَبِيرٍ يَتَمَثَلُ فِي الْعَوْلَمَةِ الَّتِي جَاءَت بِصِيَغٍ وأسَالِيبٍ عَصرِيَةٍ متَطَوِّرةٍ، لَهَا الْقُدْرَةُ وَالنَفَاذُ إلَى كُلِّ زَاوِيَةٍ مِنْ زَوَايَا الْأُمَّة. وَإنْ هَذَا التَّحَدِّي يَتَنَاوَل الْفِكْرَ العَرَبِيَّ الإسْلَامِيَّ. وَهُوَ أمرٌ يَتَطَلَّبُ مِنْ الدُّوَل العَرَبِيَّةِ وَالجَامِعَةِ العَرَبِيَّةِ وَكُلِّ شَخْصٍ مُثَقَف وَمُؤْمِنٍ بِعُرُوبَتِهِ وَدِينِهِ أنَّ يَقِفَ ضِدَّ هَذَا التَّحَدِّي الخَطِيرِ الَّذِي يُهَدِّدُ الكيَانَ العَرَبِيَّ بِرمَتِهِ.

إنَّ التَغَاضِي، أوْ التَسَاهُلَ عَنِ هَذَا التَّحَدِّي سَوْف يُنهِي وإلى الأَبَدِ مُقَوِّمَاتِ الشَّخْصِيَّةِ العَرَبِيَّةِ، وَيَصعب بَعْدَ ذَلِكَ عَلَى الأجيَالِ القَادِمَةِ مُعَالَجَتُهَا لفَوَاتِ الفُرْصَةِ وَلاسْتحكَامِ المُعتَقَدَاتِ الَّتِي تَحْمِلُهَا الْعَوْلَمَةُ. فَطَالَمَا أنَّ الْعَوْلَمَةِ لَمْ تَستَقر بَعْدُ، فَإنْ مِنْ السهُوْلَةِ مُقَاوَمَتِهَا عَنْ طَرِيقِ التَحصِينِ وَغَرسُ القِيمِ وَالْأَخْلَاقِ العَرَبِيَّةِ وإيقَاظِ الشُّعُورِ الْقَوْمِيِّ لدَى الجِيَلِ الحَاضِرِ وَاعْتِمَادِ الصِّيَغِ العِلْمِيَّةِ فِي مُواجَهَةِ هَذِهِ التَّحَدِّيَاتْ. وَالعَمَلِ عَلَى إيصَالِ الشُّعُورِ الْقَوْمِيِّ لِلْجَمِيعِ، والتعريفُ بَأَنَّ الْقَوْمِيَّةَ العَرَبِيَّةَ قَوْمِيَّةٌ إنْسَانِيَّةٌ غَيْرُ مُتَعَصِّبَةٍ.

لَقَدْ تَعَرَّضتْ الْأُمَّةُ العَرَبِيَّةُ خِلَالَ تَارِيخِهَا الطَوِيلُ لمُختَلَفِ التِيَارَاتِ الْفِكْرِيَّةِ الَّتِي احتَلتْ الْوَطَنَ العَرَبِيَّ عَلَى الرَّغْمِ مِنْ الأسَالِيبِ الهَمَجِيَّةِ الَّتِي اسْتُخْدِمَتْ لِقَلْعِ الْهَوِيَّةِ العَرَبِيَّةَ، فَقَدْ اسْتَطَاعَ أجْدَادُنَا الثَبَاتَ وَالتَّأْثِيرَ وَحَمَلَ القَيِّمِ الْإِنْسَانِيَّةِ. فَكَانَتْ الْأُمَّةَ العَرَبِيَّةَ مُؤَثِّرَةً فِي هَذِهِ التِيَارَاتِ وَغَيْرُ مُتَأَثِرةٍ بِهَا. لِهَذَا بَقِيتْ الْهَوِيَّةُ العَرَبِيَّةُ قَائِمَةٌ، وَوصَلت إلِينَا وَعَلِينَا أنَّ نُوصِلهَا إلَى الأجيَالِ القَادِمَةِ بِإيمَانٍ وَشَرَفٍ، وَإنْ يَشْعُرَ جِيلُنَا وَيَتحسَسُ بِمَسُؤولِيَتِهِ الْقَوْمِيَّةِ فِي تَحْقِيقِ هَذَا الغَرَضِ قَبْلَ فَوَاتِ الأوَانِ فَلاَ يَزَالُ فِي القَوسِ مَنزِعٍ وَلاَ يَزَالُ فِي النَّفْسِ رُوحٌ قَادِرةٌ عَلَى الْمُقَاوَمَةِ.

إنَّ مَا يَعْنِينَا فِي الحفَاظِ عَلَى الْهَوِيَّةِ العَرَبِيَّةِ هُوَ أننَا أصحَابُ حَضَارَةٍ وَشَّخْصِيَّةٍ قَوْمِيَّةٍ مُتَمِيزَةٍ وَأصحَابُ دِيَنٍ سَمَاوِيٍّ. فَالعِلاَقَةُ بَيْنَ الْعُرُوبَةِ وَالإسْلَامِ هِيَ عَلاقَةٌ مُترَابِطَةٌ فَإذَا مَا تَمَكنتْ التَّحَدِّيَاتُ المُعاصِرةُ مِنْ فَكِ هَذِهِ العِلاَقَة فَإنْ ذَلِكَ يَعْنِي ضَرْب كُلِّ مِنْهَا بالآخر. فَقَدْ خَلَقَ الْغَرْبُ صِرَاعاً بَيْنَ الْقَوْمِيَّة وَالدِّينِ الإسْلَامِيِّ لدَرَجَةِ الاحتَرَاب

والتخندق. وهذا ما يتطلّب من كلّ إنسان عربيٍّ أنّ يعمل على فكّ الاشتباك بينهما والعمل على توحيدهما.

وتقع المسؤولية أيضا على المربين من أساتذة الجامعات العربية في مقاومة التحدّيات التي تواجه الهوية العربية وفي مقدمتها العولمة وإن يكون ذلك في تعاملهم مع العلم والمعرفة من خلال الرابطة الإنسانية البعيدة عن ما تفرضه العولمة من التعامل المادّي التي تحول الطالب إلى زبون. فلابد من أنّ ينطلق التعامل من أسس إنسانية وقومية، والشعور بالمسؤولية بأننا نعيش في عالم جديد يعمل على إلغاء خصوصيتنا العربية بحجج واهية وغير منطقية.

ولا تقتصر مسؤولية المؤسسات الرسمية في حماية الهوية العربية بل يتطلّب من مؤسسات المجتمع المدني والإعلام والكتاب ومن الجميع العمل على إذكاء معالم الهوية العربية ومواجهة العولمة، والعمل على تقوية أواصر الأسرة وغرس معالم الأصالة العربية الإنسانية الأصيلة، وإن التمسك بالهوية العربية، تُعدُّ دعوة غير عنصرية، وغير متعالية، بل إنها دعوة تعمل على تأصيل التضامن الجماعي بين أبناء المجتمع الواحد. فهي تجمع ولا تفرّق، تقوّي ولا تضعف، إنسانية وليست عنصرية .

لقد فشل الغرب في استخدام القوّة في إخضاع الوطن العربي لسيطرته، كما فشل نظامه الاقتصادي العالمي عندما انهار لحاله بالأزمة المالية بدون أنّ يواجه صراعا من جهة معيّنة. وهذا ما يؤكد لنا أنّ العروبة والإسلام لم يفشلا حتّى في حالة وجود الصراع المعادي لهما. وإذا كان النظام الغربي قد تعرّض إلى هزة اقتصادية كبيرة، قلّلت من قدراته، فإنّ ذلك لا يعني إنّه تراجع عن محاربته الهوية العربية، بل نجده وفي شدة أزمته المالية العالمية، يدير بإصرار المنازعات العربية في العراق والسودان ولبنان، والدول العربية الأخرى وتدمير معالم ومرتكزات الهوية العربية. وهذا ما يتطلّب العمل الجدي المثمر في مواجهة هذه الهجمة البربرية المعادية للشخصية العربية.